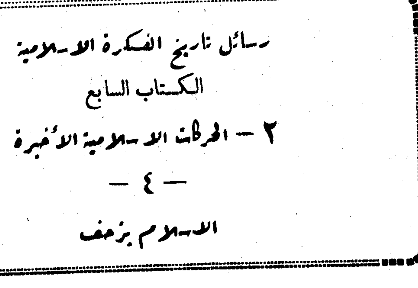
الإسلام يزحف ...
.. إلى قواعده

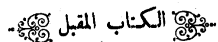
بقلم

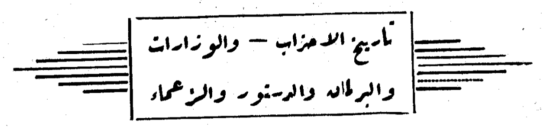
أنور الجندي

ذو القعدة سنة ١٣٦٥

دار الطباعة والنشر الإسلامية







من أخطر البحوث وأشقها وأعنفها على الباحث ، قرأ لها المؤلف مئات الكتب والصحف والمجلدات ، ليخرجها مضغوطة ملخصة مبسطة سهلة الهضم والفهم - للقارىء الكريم الراغب إلى معرفة تاريخ هذه الفترة من حياة مصر السياسية بين تصريح ١٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وبين محادثات سنة ١٩٤٦ ، وهذا الكتاب فيما نعتقد السجل الأول لتاريخ هذه الفترة إذ لم تسبق كتابتها فضلا عما تكشف من حقائق عن الآثار السوداء التى كتبتها الحزبية فى تاريخ مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

«إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور. أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز. الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور»

« سورة الحج »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه

أيها القلم ...

أتذكر أنك كتبت رسالة (ذخائر القرآن) في سنة ١٣٥٩ هـ ؟

أتذكر أنك كتبت عام ١٣٦١ كتابا ضخما لم ينشر أسميته (مدارج الاسلام في التاريخ وأثر محمد فى الانسانية) ؟

كذلك أنت اليوم ، وقد مضى عليك ثلاثة عشر عاما منذ بدأت تكتب ترى أننا قد أوقفناك وجردناك لقضية الاسلام تذود عنها بسنان القلم صنو السيف ، خالصا مخلصا ، لا تبتغى ظهورا ولا شهرة ولا جزاء إلا ابتغاء وجه ربك الأعلى فاثبت على عهدك صادقا ولا تخش فى الحق لومة لائم ، فلأنت باذن الله سهم من سهام الحق وأداة العمل لعزة الدعوة ونصرها ، حتى تموت يوم تموت مغتبط سعيد بأنك قد أديت رسالتك ؟

عرض شامل
لقضية الاسلام فى قرن كامل

بزغ نور الاسلام قوياً فياضا بالخير والحياة فقد جمع الله العرب برسالته تحت لواء واحد ووكل إليهم إذاعة الدين وبث الدعوة فى العالمين .

هذا الاسلام ، خاتمة الأديان والرسالات السماوية ، فهو الدين الشامل لشطرى الفكر والحياة ، عقيدة سليمة ومجتمع كامل ، وهو الذى يطاول الأزمان والأجيال ويناسب الأقطار مهما تباعدت عرضاً وطولا ، ومهما تباينت زمانا ومكانا .

وإلى هؤلاء العرب فى جزيرة العرب وكل الحق تبارك وتعالى إذاعة هذا الدين ، ومنهم اصطفى نبيه ، وفيهم نزل القرآن ، اختار الرسول الرفيق الأعلى بعد أن أدى الأمانة وبلغ الرسالة وامتد الاسلام فى ثمانين عاما حتى جاوز القارات الثلاث . والتأم به شمل الأجناس المختلفة والألسن المتباينة فى الأقطار الشاسعة ، هند وفرس وشام ومصر ومغرب وأندلس فوفى بمطالبهم وتمشى مع الأجيال قوياً صالحا ، لينا ممتنعا ، سليما حيا ، ولم يصب خلالها كتابة بتحريف ، ولم يرم نبيه بفريه مما رمى غيره بأنه كان أسطوره من التاريخ ولم يتصدع دينه كما تصدع غيره من الأديان .

كان الإسلام خاتمة الرسائل السماوية فنسخ به كل دين . وكان القرآن آخر الكتب فأصبح مهيمنا على كل كتاب . والحق أنه جمع كل ما أنزل الله من قبل مصدقا لما جاء من عند الله ، لا يكمل إيمان المسلم معه إلا إذا آمن بالله وكتبه التى أنزلها ورسله من قبل النبى محمد ﷺ فى تصديق كامل وإجلال تام ، وكذلك عرف عن الإسلام الشمول الذى لم يعرف من قبله لدين . ومن شموله : أنه أمن الطوائف والملل التى انضوت تحت جناحه ففرض لها العدل والبر والاقساط فى التعامل والرعاية والمرحمة كالمسلم تماما ، وفيه وجد أهل الكتاب خيرا مما وجدوا فى غيره حين انتشر حكمه وخفق لواءه على الدنيا وأظلها .

(١) فرض الاسلام التوحيد الكامل والإيمان المجرد بالله تبارك وتعالى ـ ورسم للانسانية طريق السمو والعزة ـ وقرر عقيدة البعث والجزاء. وأعلن الأخوة بين الناس جميعا وقضى بالوضع الصحيح للعلاقة بين الرجل والمرأة ـ تكافل ومساواة وتحديد لمهمة كل منهما ـ وحرم الربا فى النظام الاقتصادى ـ وضبط الغرائز ـ وفرض الجهاد للذود عن الأوطان ورد الاعتداء. واعتبر الدولة دائما ممثلة للفكرة الاسلامية.

ولتنفيذ ذلك وضع قواعد الصلاة والصيام والزكاة والحج والكسب والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والعلم وحسن المعاملة والحرص على سلامة البدن.

غفوة

هز الاسلام الدنيا حين فتحت باسمه، وحين تجهز لها بهذه العدة الكريمة من الخلق الكريم وبهذا التنظيم الاجتماعى والسياسى والاقتصادى القويم. وبهذا الدستور والتشريع الذى أنزله الله الخبير الحكيم. وسار المجتمع الاسلامى قويا نابضا بالعزة والعدالة حتى انتابت هذه القوة عوامل التحلل بالانصراف عن قواعد الدستور الربانى الذى كلما تمسك به المسلمون أعزهم وكلما عطلوه أذاقهم الذل والهوان فظلوا ينتقلون خلال حقب التاريخ على هذه القاعدة من ذل إلى عز. ومن عز إلى ذل حتى غفونا الغفوة الكبرى بعد فتوح العثمانيين فما استيقظنا إلا على قرع جحافل الاستعمار لأبواب الشرق الاسلامى تنهب العزة والحرية والخير.

كيف كنا؟ ماذا دهانا؟ ماهى عوامل الضعف؟ ما هى عوامل اليقظة؟ كيف خطونا إلى الحياة؟ ماذا كان من أمرنا مع التغريب ومع الاستعمار. بين الحربين اللتين سحقتا الأخضر واليابس؟ ذلك ما نريد أن نفصله فى هذا الكتاب وما نريد أن نجمله فى هذا الفصل.

---

(١) تفصيل ذلك فى الدراسة التطبيقية المقارنة بين التمدن الاسلامى والتمدن الحديث

يقظة

ومانكتب هذا ونحن ننطوى على شىء من الحقد أو النفاق أو العصبية الحمقاء نحو الغرب كما يفعل معنا ، ولكن ليعرف الغرب أننا إذ نذكر آثامه وجراحه وضرباته للشرق باسم المسيحية الصليبية المتعطشة إلى الدماء وإلى تحطيم النهضة الاسلامية لانبغى زد الاعتداء بمثله وإنما نريد أن ننبه أهلونا إلى ذلك لتتقد فى قلوبهم لهب الغيره على عرضهم المضيع وحقهم المتروك وما لحق وما يلحق بهم وبإخوانهم فى العقيدة والوطنية من ألم وشر ليتمسكوا بحقوقهم وليطلبوها بقوة وليموتوا فى سبيلها أعزة .

ما ذا كانت غلطة المسلمين فى عصور الوهن والضعف ؟ - كانت الغلطة الكبرى هى أنهم نظروا فى ما كتب أخيرا وتركوا الأصل الأول والمنهج الأساسى : كتاب الله وسنة رسوله ، وكان اعتمادهم على ما كتب العلماء فى عصور الضعف سببا من أسباب الحجب عن الحقيقة الصحيحة : حقيقة الدين فى جوهرة وسماحته وبساطته وحقيقة العزة التى هى العنصر الاول للاسلام ، والسلاح الأول للمسلم وكان هذا هو سر البقاء فى إصفاد الذل والجور أمدا طويلا حتى استيقظ الشرق عسكريا فى مصر على يد (محمد على) ثم استيقظ الشرق إسلاميا على الوجه الصحيح عندما بزغ نجم (جمال الدين الأفغانى) الذى أخرجه من ظلمات الجهل والغفلة والجور وقد علمه كيف يفهم حقيقة دينه ورسالة نبيه وأصول كتاب ربه ففهم الاسلام فهما صحيحا . وتذكر القوة والعزة التى كانت للأسلاف وأسبابها من إيمان صادق وعقيدة سليمة وفناء فى الحق هو عين البقاء ، ومن صدق جهاد فى سبيل الله تتضاءل أمامه زخارف الدنيا ، كل هذا سار بنا رويدا نحو الغاية المرتجاه .

* * *

احتكاك

كانت أوربا منذ قرن من الزمان قد استيقظت على صيحات (مارتن لوثر) وعلى تراث المسلمين الذى وصل إليها عن طريق الاندلس غربا وتركيا شرقا وبواسطة الاتصال والاحتكاك الذى تم بين العرب والغرب فى الحروب الصليبية وفى انتصارات محمد الفاتح .

ومن ثم خرجت أوربا على مذاهبها الدينية ، وتقلص ظل الكنيسة ، وبدأت تفكر فى الحياة المادية المجردة من الروحية الراغبة إلى العـــلم والكشف ، والاستعمار والفتح .

ونظرت أوربا فوجدت الشرق الاسلامى نائما منقبضا قد أظلته ظلمات العسف والجور والاستبداد فاتجهت الأبصار إلى العالم الاسلامى فى الشرق كله ، وأعان على ذلك سهولة المواصلات وسرعة الانتقال بتسخير البحار والكهرباء والبترول وكان الاستعمار يلبس أولا ثوب التجارة وإن كانت التجارة أحد أغراضه لتصريف إنتاج الآلاه . وأخذ المواد الأولية من بذور وحبوب وأقطان من الشرق لتعود إليه بإضعاف ثمنها مئات المرات . وساعد على ذلك أيضا غرق الأقطار الإفريقية والآسيوية فى الغفلة والجهالة .

وبعد أن كان الوضع الدينى هو الغالب على أوربا تقهقر هذا الوضع وحل بدلا منه الوضع االسياسى والعنصرى فنشأ مبدأ القومية . وبذلك أصبح الدين فى أوربا إسما فحسب ومصدرا للتعصب ضد الأجناس الأخرى والمسلمين على الخصوص فكان ذلك سببا للصدام الدائم والرغبة المتحكمة للاستعلاء . والكفاح المتصل بين دول الغرب للسيادة على منـــافذ البحار وعلى الموانى ومنابع الثروة والبترول .

وتولدت فى نفس الغرب فكرة الاستعمار والسيادة للشرق بعد التجارب الأولى التى قامت بها البرتغال وهولندا فى خليج فارس وتأسيس شركة الهند الشرقية فى الهند التى أصبحت بعد ذلك حكومة كاملة واستعملت أوربا فى سبيل التنافس

على مصائد اللؤلؤ ومنابع البترول أقسى ألوان الاستبداد والعسف والظلم كأنهم لا يتصلون بصنف من بنى الانسان وماتت ألفاظ الحرية والعدالة والسلام التى يتشدقون بها بعدأن ركبوا بواخرهم إلى الشرق وقد قام فى أدمغتهم اعتقاد مجرم بأن الشرق بلاد العبودية والجهل وهو لذلك حل للرأسماليين والمستعمرين الأشراف ..! من بنى الغرب .

وكانت الحروب المتوالية نتيجة محتومة للتنافس الاستعمارى والاقتصادى بعد الاحتكاكات الأولى التى تبين منها ضعف دولة الخلافة العثمانية وأصبحت مسألة الاستعمار بين دول الغرب مسألة مساومة تتنازل دولة لدوله عن مكان ما لقاء تنازل الأخرى لها عن مكان مثله وتحتفظ دول الغرب بحسن العلاقات بينها على حساب الشرق الأعزل المسكين .

هذا الشرق الذى أداه تواكله وضعفه وتفرقه وغفلته عن قوته المركزة فى القرآن إلى أن صار إلى هذا الوضع ، وضع العبودية والاستخذاء من الغرب الماجن الداعر . فليذكر المسلمون هذا جيدا وليعتصموا بالاخوة والتجمع والاتحاد حتى يشعر الغرب بأن علته الأولى فى اقتحام الشرق قد زالت فيطوى لواءه إلى غير عوده .

كيف صار الشرق الى هذا الضعف وذلك الجمود ؟

لذلك عوامل دينية وعوامل تاريخيه . والعوامل التاريخية تابعة للعوامل الدينية ، ذلك لأن المسلمين لو تمسكوا بكتابهم لما وصل الأتراك إلى سيادة العالم باسم الاسلام . وفى سيادتهم له قوة بدأت أول الأمر جبارة عاتية ، كلها لهب وحماسة ثم انتهت بعد قليـــل إلى ضعف سماه الغرب فى مراحله الأخيرة (الرجل المريض)

بلاد تغمرها الخيرات وتشقها الأنهار (النيل والفرات ودجله وبردى والعاصى) وأرض جيـــدة التربة وافرة المحصول فيها منابع البترول والفحم والحديد والذهب وبها فى الغرب أشجار الزيتون واللوز والعنب تعد

بالملايين وفيها فى النخيل المثمر إلى ما سوى ذلك من خيرات القمح والقطن والحبوب .
كان هذا الوطن الممتد فى رقعة الشرق وفى صدر آسيا وأفريقيا من المحيط الهندى إلى المحيط الهادى يمتد جناحه الأيمن إلى هضاب إيران وتركستان ويشرف شماله على الأناضول وجبال طوروس ويمتد جناحه الأيسر إلى القارة السوداء فى مصر حتى الدار البيضاء على المحيط .

يوم كان الاسلام عزيزا كانت كل مفاتيح البحار فى يده ، جبل طارق فى المغرب ـ بوغاز باب المندب . الدردنيل والبسفور فى تركيا . الخليج الفارسى فى فارس ، منابع النيل فى مصر ـ هذا الوطن إصابته غفوة استيقظ خلالها الغرب فبدأ محاولاته باسم التجارة ثم انقلبت استعمارية ،وصلت إلى أعلى حدودها بعد الحرب العالمية سنة ١٤-١٨ عندما أصبح هذا الوطن الاسلامى الجبار بين أنياب الاستعمار ما عدا تركيا التى جاهدت والجزيرة العربية التى جردت السيف العربى القديم .
هذا الوطن الذاخر الممتد هو الآن بين أنياب المستعمرين . وفيه حفدة الفاتحين الذين حملوا إلى الدنيا رسالة الاسلام فأضاءت المشرقان وأظلت الميدان الاسلامى بالعدالة والأخاء ،أين أنتم يا أحفاد المسلمين الذين عرفوا العزة والفداء من أسلافكم يوم كان يقول خليفتهم للسحابة وهى مارة (أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك)
كيف كان ذلك وماذا دهى المسلمين ؟

استسلام للقضاء والقدر ، غرام بالترهات والأباطيل من السحر والتنجيم قصر الدين على الطقوس . غرام بالقبور . استسلام للدخيل . انشغال بالمأكل والمشرب ، اعتبار أقصى درجات الدين فى المسجد والعبادة وأعلى درجات المتدينين فى المتصوفين الغافلين الذين يتشدقون بكلام لا روح فيه ويوغلون فى خرافات وخيالات تبلغ أحيانا حد الدجل والشرك .

وأعدوا...

كذلك فقد المسلمون القسب الذى ساد به السلف واكتفوا بأنهم مسلمون اسماً وغفلوا تماما عما يطلبه الإسلام من معتنقيه من إيمان بالجهاد وقوة على النضال ـ ووحدة وتكاتف يقف بها المسلمون جبهة فى وجه العدو ، يتهافتون بها على الموت ويحبون الاستشهاد فلا تصرفهم الدنيا ببريقها وزخرفها عن هذا الغرض الأول والهدف الأسمى .

لن تكون عزة المسلمين بالصلاة والصيام والدعاء مع القعود عن العمل لله . بل بتجنيد الكتائب للدفاع عن الوطن والدين وتفديه هذا الغرض الأعلى بكل ما يملك المسلم من مال وقوة وعتاد .

إن هذه الأزمات والظلمات تطلب منا يقظة وقوة ، وتكاتفا واتحاداً ، وبذلا للمال والروح ولا يمكن أن يقوم البناء قوياً كما كان ، ولا أن يصبح المسلمون سادة أعزة كما كان إسلافهم إلا بتقديم قربان من التضحية على مذبح العزة والسيادة .

إن أهل الغرب يخوضون حياض المنايا ويجندون الجنود ويعدون العدد فى سبيل غايات الاستعمار الجشع ونحن أهل الدين القويم لا نجند الجنود ولا نكون الكتائب فى سبيل الذود عن حمانا ورد المعتدين عنا والمحافظة على كياننا وتحرير أوطاننا وأعزاز قرآننا وأقامة تشريعنا ، وإنما نترك بلادنا نهبا يتقاسمها الظلمة الطغاة الذين لا غاية لهم ولا هدف ولا دين ولا مبدأ ، يقودهم الجشع والاستعمار والرغبة فى السيادة على بلاد المسلمين واستقلالها وامتلاك كل ما فيها من خيرات وثمار

إن المسلم اليقظ المتنبه ليمتلأ قلبه شعوراً بالألم ورغبة إلى مناهضة هذا الظلم وهذا الشر وأن اللهب المضطرم فى قلبه ليدفعه إلى الإيمان بفكرته إيمانا صادقاً . وإلى أعداد نفسه وماله وعتاده لبهبه خالصاً مخلصا فى سبيل نصرة دينه ورفعه وطنه . وهى أغلى ما يرخص فى سبيلها البذل والانفاق . أى حياة هذه التى يقضيها المسلم مصفداً فى أغلال الاستعمار والاستعباد ، خيرات وطنه إلى غيره ، وشريعة دينه

معطلة ، والدخيل يسيطر على كل شيء ويدير دولاب الاقتصاد وأهل وطنه فقراء ضعفاء عزل لا يملكون إلا فتات الموائد مما يتخلف من الدخلاء .

أى ذلة هذه ، وأى رجل فى قلبه بقية من كرامة أو عزة يقبل أن يشعر بهذا الخسف وهذا الذل وهذا الامتهان وهو قانع بلقمته يأكلها وجلباية يلبسه ، وما قيمة هذه الدماء التى تجرى فى عروقه إذا لم تكن فداء لهذا الدين وهذا الوطن لتحل فيه الحرية والكرامة محل الاستعمار والذل .

البطانة

لا يمكن أن ننسى أبداً ونحن نستعرض دسائس الاستعمار أن نذكر هذا الفريق المجرم من أبناء الأوطان الإسلامية الذى يناصر الدخيل دائما ويكون معه ويدله على عوارت بلده وثغراتها وعلى نقط الضعف فى الوطن وفى الزعماء ليمكن للمستعمر من أن يجد القوة والمعونة على انفاذ رغبته وتحقيق أمله فى الاستبداد والسيطرة على الأحرار والآمنين .

هؤلاء الخونة هم الذين يغريهم نضار المستعمر ووعوده فينحازون إليه ويخونون أوطانهم . هؤلاء دائما هم علة الشرق وسبب بلاءه ولو وقفت الأمة كلها موقف العــداء والحزم أمام المستعمر لعرف أنه إزاء شعب أبى لا يقبل الهوان ولا يفتنه النضار .

أيخشى هؤلاء سلطان الغاصبين فيحاربون أوطانهم بأيديهم والله أحق أن يخشوه ؟ إن هؤلاء أرقاء فى الدين والوطنية ولابد أن يكون لهم من بعد أجر الخونة وجزاؤهم . هؤلاء الذين رضوا بالنعمة العاجلة وبالسم الزعاف يقدمه لهم الدخيل فى صورة نضار قانعين بأن يعيشوا مطمئنين يأكلون ويتمتعون كالانعام ولو أنهم قدموا أنفسهم فداء لوطنهم وملأوا قلوبهم إباء وعزة وترفعا عما أريد بهم لكان خيرا لهم ولكن هكذا تكشف معادن الناس عن نفسها وتظهر خبثها والعاقبة للصابرين

* * *

العلماء المتزلفون للامراء ، الذين يرتعون فى نعمائهم ، ولا يستطيعون أن يجابهوا

الحاكم باخطائه وعيوبه وغلطاته ، أولئك الذين أفتوا بقطع عنق الناصح والجاهر بكلمة الحق لأنه شق عصا الطاعة وخرج على الجماعة هم علة من علل الشرق ، ولقد كان العلماء من قبل هم الذين يوجهون الأمراء . وكان الملوك ترعش قلوبهم وترعد عندما يدخل العالم الفقيه ، أما هؤلاء فقد رضوا عن الأمراء وظلمهم وطغيانهم ، بل ورضوا عنهم فى حياتهم الخاصة وما يقترفون فيها من مآثم ومنكرات ، ذلك لأنهم إتخذوا من علمهم صناعة يستدرون بها المال والهبات والعطايا فى المواسم والمناسبات .

* * *

وأصيب الشرق بأسوأ ما أصيب به من جراء هؤلاء العلماء : الذلة والخضوع والخنوع والتواكل والرضا بالظلم واحتماله دون أن يفكر مفكر فى أن يرفع رأسه أو يدفع عن نفسه أو يقول كلمة الحق أو يتمرد على ما ألقى على كاهله من ظلم ، كذلك عاش يرسف فى أغلال الذلة وقد نسى أن دينه عنوان العزة وأن فى قرآنه قواعد الرجولة والحكمة مما يحتم عليه الوقوف أمام الظلم والظالمين موقف القوة والجهر ، إذ يقول: أن أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ، والتبعة واقعة أول الأمر على العلماء الذين أنستهم الدنيا كرامتهم وعزة دينهم فغفل الشعب بهم عن قوته وكيانه وأيقن أنه ريشة فى مهب الريح أو خشبة فى مجرى النهر يتصرف فيه الأمراء والملوك كيف شاءوا ، إن شاءوا أطعموه وإن شاءوا جردوه وما هو كذلك أبدا ، إنما هو القوة التى تخلع الحاكم إذا تجبر وترده إذا عصى وتنهاه إذا أخطأ وتختار من تشاء وتستشار فى كل أمر ويعرف لها الولاة حقها وكرامتها وعزتها

الايمان بالنفس

لابد أن يشعر المسلمون أنهم أعزة وأنهم قوة وأنهم أهل لأن يحكموا أوطانهم ويسودوا العالم كما ساده أجدادهم ، وأنهم قادرون على أن يوغلوا فى كل شيء ، فاذا اقتنعوا بأهليتهم للحياة والقوة والسيادة والمجد فهذا علامة البرء ودليل الشفاء من الداء العضال ، داء الذلة الذى ابتلى به الشرق المسلم مئات السنين .

أعرف نفسك أيها المسلم ، وتذكر أنك قوى ، وأنك أهل لأن تكون سيد وطنك وصاحب المجد فيه وصاحب السلطان الأول عليه ، وأن أية قوة فى الدنيا لا تستطيع أن تردك أو تعجزك لأنك معتصم بالله مؤمن به متوكل عليه ، لا تخشى سواه ولا ترهب أحداً دونه ، ومن كان يؤمن بالله ويتقيه فهو أهل الفوز والنجاح. أصرفوا من قلوبكم أيها المسلمون الشعور بالذلة والاعتقاد أن الغرب هو السيد فأنتم الأعلون ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، آمنوا بهذا وتيقنوه وأكدوه لأنفسكم وأعلموا أن النصر مع الصبر وأن قوة الإيمان هى السلاح الأول ، وأننا لا نطلب استعمارا ولا سلطانا ولا اعتداء على أحد وإنما نطلب لأنفسنا ، فى أوطاننا ، حياة الأعزة السادة ، نريد أن يكون وطننا لنا وأن نعيش فيه أحراراً وأن يكون ديننا هو حكمنا وهو قضاؤنا وقانوننا .

أساليب الغاصب

المستعمر عدو العلم ، وعدو العلم الإسلامى الصحيح واللغة الفصحى والتاريخ الحى الذى يصور عصور السيادة ، وهو يحاول أن يلقننا الذل والصغار والاستعمار والرضى من الغنيمة بالإياب حتى تتم غفلة الأفراد عن مصالح أمتهم ليتم إلقاء زمامهم إلى المستعمر المستبد ، يعمل فيهم أسراً وتشريداً وسلباً وتقتيلا .

ويجمع المستعمر المستبد حوله فئة من الذين يضحكون على الأمة باسم منفعتها ويلبسون الأمر فى نظر الأمة ثوب الرضى والاقناع ، يحرص المستعمر على أن يدر عليهم المال ويمنحهم الرتب والألقاب ، وهو دائما يلقى الفساد بينهم حتى لا تتحد كلمتهم وينتقم منهم باسم العدالة ويستغنى عن بعضهم كسرا لشوكتهم .

وهؤلاء يخدعون الأمة ويزورون لها الحقائق ويمثلون دور المصلح المخلص .

وتغشى هذه الطبقة فى الأمة الرشوة والغش والتدليس والنفاق وينصرف الناس تقليداً لها إلى ظاهر الحياة يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم .

وينتهى هذا (كما يقول الكواكبى) إلى أن يصبح طالب الحق فاجراً وتارك

مطيعاً والمتظلم مفسداً والخامل المسكين هو الصالح الأمين والنفاق سياسة والدناءة لطفا والنذالة دماثة ويفرض الاستبداد على الناس الطاعة والانقياد عن خوف وجبن لا عن إرادة واختيار .

والمستعمر المستبد فى يده قوة وسلطة ، وفى الناس ضعف وذلة ومهانة عن مواجهة الظلم والتمرد عليه ، لاهم لهم إلاحياة الرعاع ، حياة الشبع والبطر ينظرون إلى الدنيا من حدودها الحيوانية من مطعم وامرأة ولذلك فليس هناك درس للشرق المسلم اليوم إلا أن يتعلم العزة وأن يعرف حقه وأن يطالب به وأن يدافع عنه ويذود بكل ما يملك ، وأن يضحى بكل شىء فى سبيل استرداد هذا الحق مهما كان جزاؤه من المهانة أو التشريد أو الاغتراب فانه بالغ حقه يوما وإن طال مطال الزمان .

الدين الاستعمارى

ويأخذ المستعمرون الدين فيجعلون منه للجهال سناداً من البطش والطغيان فيعلمونهم أن الدين هو الخلوة والرهبانية وجفوة الحياة والانصراف عنها إلى الذكر والعبادة والرضى بالقضاء والقدر فى انتظار جنات النعيم وما فيها من حور وولدان .

وما كان الدين يوما من الأيام كذلك ، إنما هو عزة الدنيا قبل أن يكون عزة الأخرى ، وجهاد الدنيا ونضالها فى سبيل القوة والغلب ، وفى سبيل نصر كلمة الله وفى سبيل إقامة المجتمع الحر والحياة العزيزة المحصنة بالرجال الأشداء المتأهبين ، والثغور المحروسة الساهرة عليها عيون المرابطين . وبالأمة القوية الفتية التى تملك ثروتها وتشتغل بيدها وتعمل فى سبيل السيادة ولا تنسى أن تجعل ذلك كله لله وفى سبيل الله خالصة مخلصة .

لب الدين الخلق والمعاملة وعليهما يتوقف كيان الرابطة الإنسانية فهو الذى يقوى عراها ويوثق وحدتها ويعمها بروح من الاطمئنان والحب والأخاء .

***

وغاب عن هؤلاء إن الإسلام يختلف عن المسيحية والأديان الأخرى إذ ليس له نظام كهنوتى يتحكم أصحابه فى حريات الناس وحقوقهم وهو لا يقر نظام الاعتراف الذى يحمل الإنسان على الالتجاء إلى غير الله - فالمسلم مقيد بقواعد دينه له رب واحد هو موئل رجائه ومصدر أمله ومنه وحده يخاف ولا يخشى أحداً سواه .

وقد جعل الاسلام لصاحبه كرامة وعزة فلا يتصاغر لمخلوق ، يعرف حقه ويطالب به ويدافع عنه فى رجولة وقوة ، لا يعرف الاستبداد ولا يؤمن بالفردية إنما يؤمن بالشورى (وأمرهم شورى بينهم) فإذا عزمت فتوكل على الله .

زحف الاتراك

وليفصيل تلك الغفوه التى غفاها المسلمون يجب أن نرجع إلى تاريخ الاسلام سنة ألف هجرية فننظر كيف كانت الحياة يومئذ وماذا كان موقف الاسلام فى التاريخ ؟

المعروف أن الأتراك العثمانيين هم آخر الزواحف العسكرية التى جاءت من قلب آسيا حيث بدأ زحفهم على الشرق عام ٩٣٦ هـ فخضعت لهم الشام ومصر ثم العراق ٩٤٤ هـ وقد كان ذلك فى أعقاب زحف التتار والصليبيين الذى أنهك قوى الشرق كله . والذى جاهدت العراق والشام ومصر فى رده وانتهى بهزيمة العراق فدخلها هولاكو ، وجردها من ثوبها واطفأ مناثرها وأباحها لجنده وسحق حضارتها وأباد عشرات الآلاف من المؤلفات القيمة ، واستباح مساجدها وبيوتها . وهاجم التتار أيضا الشام فخرجت مصر تدفع عن الشام ، وترد هذا الشر الزاحف فهزمت التتار شر هزيمة فى موقعة عين جالوت ، ومن قبل هزم صلاح الدين جحافل الصليبيين التى أقامت آمارتها ببيت المقدس وأجلاهم عن الشرق وردهم إلى بلادهم مهزومين صاغرين .

كذلك كان حال الشرق الاسلامى قبيل الغزو العثمانى . ثورات وحروب وجحافل من الجيوش المدمرة الفاتكة ، التى لاتعرف دينا ولا عدالة . إنما تندفع مزهوه بالفتح والغزو ، والسلب والنهب .واستباحة النساء وقتل الأطفال وتحطيم مظاهر الحضارة أنى وجدت

***

وكان الأتراك العثمانيون قد بزغ نجمهم فى مفتتح القرن الثامن الهجرى ٧١٩ هـ فاستولوا على بروسه واجتازوا مضيق الدردنيل ٧٧٤ هـ فتمكنوا من احتلال غالبولى واتصل الفتح . وكان هذا أول احتكاك المسلمين الأتراك بالمسيحين فى قلب أوربا من ناحية الشرق فقد صحت عزيمة الأتراك يومئذ على اكتساح

شرق أوربا . واتسع ملك الأتراك فى أوربا حتى جاء محمد الفاتح سنة ٧٧٠ هـ
فاستولى على القسطنطينية وبذلك قضى على الدولة الرومانية الشرقية وأصبحت
كنيسة أيا صوفيا مسجدا للمسلمين واتصلت الفتوح فاخضعت البوسنة والهرسك
والصرب وألبانيا والقرم ثم وقف الفتح عند أبواب فينا

وفى عام ٩٣٩ هـ - ١٥٢٥ م كانت المملكة التركية العثمانية قد وصلت أعلى
ذروة القوة والمجد فى عهد السلطان سليمان القانونى الذى دانت له أطراف المملكة
الاسلامية كلها ونزعت تركيا الخلافة من العباسى المقيم بمصر يوم فتحها فأصبحت
خلافة المسلمين فى آل عثمان، وإن كان آل عثمان قد دخلوا الاسلام وفتحوا باسمه أغرابا
عنه إلا أنه صهرهم فى بوتقته كما صهر من قبل غيرهم من الفرس والرومان والأكراد
والبربر والجركس والسلاجقة، فانه كان دائما أعم فى المعنى وأوسع فى الأفق من الأجناس
والعصبيات فضلا عن أنه جامع لكل مايقع فى قبضته من الأمم على أساس
العدالة والعزة والأخاء والوحدة

أصبحت تركيا رأس الاسلام بحق وأصبح العثمانيون خلفاء الاسلام بحق
وقد كانوا إبان عزتهم ويقظتهم قوة عارمة تخافها أوربا وتخشاها روسيا ، وقد
كانوا يومئذ العنصر اليقظ الحساس فى وقت غفلت فيها أوربا ونامت نوما عميقا . ثم
كان الاسلام من بعد صاحب الهدى وحامل النور إلى الغرب مع ما حمل من فلسطين
والأندلس وجنوب ايطاليا من ذخائر وعلوم حفظها الاسلام حتى أنهضت
الغرب مرة أخرى

ثم ضعفت تركيا وأنهكتها الحادثات ، وخلف بها خلف لم يفهم الاسلام
فهما صحيحا ، فاستنام إلى الترف والرخاء والرفاهية وهنا موت الشعوب
وذلة الأمم

الغفلة

استنام الشرق الاسلامى عن دينه وكتابه حين غفل العلماء عن قيادة الملوك
وتوجيه السلاطين ، وبعد أن كانوا سادتهم أصبحوا عبيدهم - ثم استيقظ الغرب

وزحف على شواطئ الخليج (١) الفارسى عن طريق رأس الرجاء الصالح إلى مصائد اللؤلؤ به ثم إلى الهند ثم بدأت القارعة بغزو نابليون لمصر ، وعرفت أوربا يومها أن دولة الخلافة ضعيفة مصفدة فى أغلال الخرافات ، وكان العهد بدوله الاسلام قوية لاتغلب يوم كانت مستمسكة بشرعة قرآنها فلما آنست أوربا ضعفها أخذت تدافعها وتناضلها . غزو محجب ـ واستعمار مقنع . وتغريب مدسوس يتخذ سبيله عن طريق المدارس والملاجىء وينفذ بواسطة الارساليات ، ثم استعمار مكشوف بعد الحرب الأولى وقد كانت أولى الأقطار تأثيراً بالغزو العلمى المقنع (لبنان) ومن ثم اعتبرت فرنسا نفسها حامية الكنيسة فى الشرق ومن ثم تعاونت فرنسا وانجلترا على خطط الاستعمار فأباحت كل منها للاخرى إطلاق يدها فى وجهه معينة . ثم كانت يقظة الشرق ـ وثورة عرابى وثورة المهدى ـ وحركة جمال الدين الأفغانى وحروب محمد على من قبل هذا كلها بوادر اليقظة الاسلامية والعربية الدينية والحربية فى معناها الواضح (٢) يقظة بعد ضعف . تحرر بعد انقياد ـ عزة بعد ذل ـ فهم بعد غفلة ـ تبدو فى إطوائه الحيوية الدافقة ولكن الغرب تصدى ووقف أمام الشرق المجرد من الأسلحة يناضله نضال القوى للضعيف . فى عصبيه حمقاء ـ عصبية جنس وعصبية دين ـ رفعت منها أساليب العدالة والكرامة والرجولة والشرف واستعملت فيها أحط ألوان الكذب فى الوعود والتضليل فى الأقوال واستعمال الألفاظ الجوفاء وطرائق الدس والخداع والمراوغة والمماطلة وقد تحولت دول الغرب وحوشا تتقاتل على تقسيم الشرق الاسلامى ثم تتقاتل مع هذا الشرق الذى عرف حقه وآمن به وجاهد فى سبيله ولكن التغريب كان قائما على قتل الاحساس بالعزة وعلى قتل الإيمان بالدين وعلى إنكار الروحية الشرقية إنكاراً تاما وعلى قيام أسباب الفتون والغى والإغراء من خمر وامرأة ومال على أوضاع مفضوحة خليعة ماجنة داعرة أفسدت المجتمع وأنهكت القوى وضيعت المال والعقار ـ وعلى تفكير سقيم أعرج أساسه التجريد وقلبه التشكيك والاغراق فى الالحاد والمجون والبراعة فى الأدب المكشوف

(٢و١) اقرأ تفصيل ذلك فى كتابنا السادس (انهيار الحضارة الغربية)

وإنكار الصفحات المشرقة من تاريخ العزة الاسلامية والانصراف إلى الغرب كلية والإعجاب به حملة والمطالبة بجلب خيره وشره ، حلوه ومره واستعمل لذلك المستشرقون والعلماء الذين كانوا دعاة علم مجرد قائم على أسس البحث العلمي ظاهراً ولكنهم باطنا وسائل الإستعمار وأدلته ودعائمه يقتنصون الهفوات ويبحثون عن الثغرات والعورات ليجعلوا منها قواعد لتقرير مغالطات أساسها التجريح والاساءة إلى الواقع الصراح من جلال الماضي وعظمة الحضارة الاسلامية وقيمة القواعد القرآنية في بناء المجتمع الصالح (١)

الأحرار

ومن ثم كانوا للشرق بالمرصاد كلما قام رجل فيه يدعو إلى العزة والحرية في الدين والوطنية حاولوا هدمه بالنضار . فاذا اعتصم بالشرف والعزة والآباء أساءوا إليه أبلغ إساءة ورموه في السجن وأذاقوه العذاب ، ولكن الأحرار كانوا دائماً أصلب قناة من أن يؤثر فيهم الاضطهاد أو يزحزحهم قيد شعره عن عقيدتهم ولهم في رسول الله وأصحابه أسوة حسنة .

كذلك يجب أن يكون المسلمون إزاء الخطر الغربي الداهم بألوانه العسكرية والفكرية والاجتماعيـــة قوة لا تغلب ؛ لا يزعجهم التشريد ولا السجون ولا النفي والتعذيب ، يقاسون الجوع والعطش يوما وأياما ، وينامون على الثرى في الليلة الباردة ملتحفين السماء في سبيل العقيدة التي اعتقدوها والغاية التي ارتضوها والحق الذي استلب منهم ، لا يتألمون وإنما يعملون صابرين محتسبين .

اليقظة

ولقد حاولت معاول التغريب أن تعمل ولكن قوة الاسلام كانت قد استفاقت في النفوس فردت التغريب عن القواعد التي وصل إليها ، وأخفتت أصداءه ، وكلما ازدادت قوة زادته ضعفا . حتى تأكد لنا الآن إنها في طريق الحياة الكاملة وأنه في طريق الموت بل الفناء .

---

(١) تفصيل ذلك في كتابنا الأول (قضايا الأقطار الاسلامية)

عن الضعف

كانت أسباب الضعف قبل اليقظة قوية بالغة زادها الاستعمار قوة . كانت تمسكا بقشور لم يعرفها الاسلام وانصراف عن لب الاسلام نفسه وخروج عن بساطة الاسلام إلى تكاليف وقيود وأوضاع ورسوم زادت الحياة تعقيداً وكلفت المسلمين شططا : سرادقات للجنائز ، وحفلات للزواج وتطير بالغربان وتفاؤل وتشاؤم بالرسوم والمصادفات ، وتعميد الأطفال فى الكنائس لتعيش وألوان من التحية واللغة لم يألفها المسلمون نقلد فيها غيرنا تقليدا أعمى - واحتفال بمواسم ما جاء بها دين وما أقامها قدوة الاسلام ورسوله ، وعكوف على القبور وإضاءة لها وتزيين ، وبناء قباب وزخرفة مساجد وترصيع للاسقف والجدران . إلى ما سوى ذلك مما هو انتقال صريح من لب الاسلام وجوهره إلى القشور والمظاهر ، كذلك كان المسلمون فى أيام الضعف دائما ، أضف إلى ذلك ما كان من ترك الجهاد وغلبة التواكل والقعود عن السعى فى سبيل الرزق ما أدى إلى نقل المال والتجارة بله الميدان الاقتصادى جملة من أيدينا نحن أصحاب الوطن إلى الدخيل الغريب .

* * *

احصاء

حينما تنظر إلى الخريطة الاسلامية فى العهود التى أتسعت فيها المملكة وتقلب الطرف فيها تدهش لهذه العظمة البالغة وهذا الملك الشاسع المبسوط الذى يدين بالاسلام ثم تتذكر ألوان التقلبات والهجمات من الشرق ومن الغرب ، من قلب آسيا ومن قلب أوربا ، ترى صموده للهجمات وهضمه لهذه الحضارات بمعدته القوية وذوبان هذه الألوان فى بوتقته الجامعة التى تلون كل ما يتصل به بلونها الذى يظل دائما مستقلا لا يتحول . قويا لا يتغير ، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ، ثم أشرق فجر النهضة الجديد والمسلمون أربعمائة مليون من الأنفس متفرقين فى القارات الثلاث جنوبها وشمالها . شرقا وغربا . المسلمون فى آسيا ٢٨٦ر٤٦٧ر٠٠٠

مليون وفى آفريقيا ٠٠٠ر١٠٤٢٦١ مليون وفى أوربا ٥٠٠ر٤٦١٥ مليون وفى أمريكا ٠٠٠ر٢٥٠٠ مليون ـ المقيمون فى أوربا فى مناطق بلغاريا واليونان والبانيا والمجر وبولونيا ويوغوسلافيا ورومانيا والمقيمون فى آسيا فى الصين والهند والعراق وتركيا وايران وسوريا والجزيرة العربية وأفغانستان وجزائر الملايو والمقيمون فى أفريقيا فى شمالها وفى بعض أجزاء من جنوبها وغربها .

* * *

كيف تهيأ الغرب لغزو الشرق

يقول الإمام محمد عبده فى مجال الكلام عن التقليد والجمود الذى منى به الجيل السابق . . . « وهكذا كل متأخر يقصر فهمه على النظر فى كلام من يليه هو غير مبال بسلفه الأول فدرست علوم الأولين وبارت بضاعتهم » حقا لقد انتشرت البدع وغلب الجمود كما قلنا أنفا على أهل الجيل السالف فكان لذلك أثره البالغ فى نظام المجتمع الذى يتلخص فى عبارة قصيرة هى قاعدة الضعف ـ لبس الناس ثوب الذل عندما لبس أمرؤاهم ثوب الاستبداد وعندما انصرف الجميع عن كتاب الله وقواعد التشريع الاسلامى ومن هنا ضاعت سماحة الدين وغشيته الأغشية الجديدة فتعقد الأمر وأصبح مركبا بعد أن كان سهلا بسيطا ، وضعف العلم وعم الجهل ، وجبن العلماء فساروا فى ركاب الأمراء ، وتفرق المجتمع وتمزق ، وكثرت الاختلافات والمذاهب والشيع وطالت حروب الجدل البيزنطى بين أئمة المذاهب فى فروع الأبحاث وفى الظنى من الأمور ، ومن ثم انحلت الأخلاق وعادت صور الجاهلية وأشباحها ـ ومضى الناس فى ذلك الطريق ، القرآن عندهم كتاب يقرأ على القبور للتبرك وتزخرف كتابته ويحسن رسمه ، ولكن جوهره ومعناه وأوامره وقواعده بقيت معطلة وبذلك ضاعت الرابطة بين الناس وبعضهم والمسلمين وغيرهم وانقطع الحبل بين الناس وربهم حين تفشت نظم الصوامع وأساليب الرهبنة وبدع التجرد وحين عكف الناس على صلواتهم وتسابيحهم ، وحين ظهر المجاذيب وأصحاب المرقعات فأصبح هؤلاء

جميعا أعضاء ميتة فى المجتمع تضر أكثر مما تنفع ـ وحين قصر الدين فى نظر العامة على أنه صلاة وصيام .

جرى كل هذا والغرب لا يزال يهاب بلاد الاسلام فقد كان يعرف حين اتصل بها من قبل مدى قوتها المتصلة بتعاليم كتابهم ورسالة دينهم ، فلما اصطدم به مرة فمرة ، وحين تقارعت قواه مع قوى دولة الخلافه اتضح للغرب أن الاسلام غافل وأن خلافته مريضة فتحفز للغزو المقنع بأساليبه التجارية والعلمية وبالتغريب الوئيد فى صور تحرير الفكر والعلم وفى التأثير على نظام المجتمع وأوضاعه .

كيف مضت أوربا فى هذا الطريق والى أى مدى وصلت فى ذلك

التغريب والتبشير والاستعمار المقنع

اكتشف فاكسودى جاما طريق رأس الرجاء الصالح أبان حكم المماليك فضاعت فرصة تجارية كبرى للشرق الاسلامى من نقل البضائع عبر البحر الاحمر ثم تكونت بعد ذلك شركة الهند الشرقية فى مدراس بالهند ، ثم ذهبت الدول الغربية تتسابق فى كسب صداقة تركيا دولة الخلافة ودولة الاسلام بدعوى ضمان سلامة الأراضى العثمانية ، ومن ثم أصبحت الدول الغربية تتوسع فى الامتيازات الأجنبية فى دولة الخلافة فدخل الأجانب تركيا باسم التجارة ، وكان هذا هو أول بشائر الغزو السلمى وبدأ التبشير فى بلاد الخلافة .

وظهر فى هذا الغزو لون الاستعمار لا لون التجارة إذ كانت كل وسائل الغزو حيلا لتثبيت قدم الغرب فى الشرق وقد كان فى إمكان تركيا العثمانية أن تلتفت إلى هذا الخطر الداهم فتتدارك الأمر برأب الصدع وإقامة جبهة إسلامية قوية فى الشرق لمواجهة الخطر ولكن تركيا تغافلت عن هذا الخطر حتى تنمر واستمر زحفه فى قلب الامبراطورية العثمانية يتولى قيادة قناصل الدول باسم إدارة دولاب التجارة والاقتصاد .

وظل الغرب كذلك حتى بدأت الأقطار الاسلامية تحس بالزحف الفكرى والاجتماعى والسياسى .

لماذا كانت أساليب الاستعمار فى هذا الزحف المقنع؟

أولها وأبلغها أثرا هو التعرف إلى رقاق الدين وضعفاء الوطنية واستغلالهم فى كشف خفايا المجتمع ومعرفة ثغراته وعيوبه وإغرائهم بالمال وبالمناصب.

ويليها معرفة الرجال الوطنيين المخلصين لمحاولة إغرائهم بالمال أو بالنساء أو بالمناصب وإلا فالتهديد بالسجن والنفى والتشريد حتى تلين قناتهم.

ومن أجرأ أساليب الاستعمار استخدام العلم لدراسة الشعوب الشرقية الاسلامية وتاريخها وقوميتها ومحاولة طمس هذه المعالم القوية البارزة فى تاريخ المسلمين - هذه التى يأخذ بها الشعب إلى العزة والقوة بعد الانحلال والضعف والعمل على توجيه الأذهان وجهة الحضارة الغربية بما فيها من شر كثير ويمتد الاغراء بالشباب لهذه الغاية حتى يتنكر مبكراً - لماضيه ودينه وأسباب عزته ومجده.

ويتشدق الغرب بالنزعة العلمية المجردة وهو لايحترمها فى دراسة التاريخ الاسلامى فيتخذ من بعض الحوادث الصغيرة قواعد للتشهير والاساءة، ويغضى أغضاء تاما عن الجوانب الذاخرة بالقوة الفياضة بالحيوية - كما يستعمل الرويات الضعيفة دون تثبت من رواتها أو ممن تواتر على تصديقها من علية المؤرخين ليطمس وجوه الخير والعدالة والنور، ولم يكن كذلك البحث العلمى إبان الحضارة الاسلامية. بل كان أسلوبه نزيها وتقديره دقيقا لقيم الأمور ووضع المسائل فى مواضعها الصحيحة ويشهد بذلك مفكرى الغرب أنفسهم وفى مقدمتهم جوسياف لوبون أما علماء الغرب لحتى فى أحكامهم العلمية الصرفة لايعرفون النزاهة ولا يتحرون وجه الحق وحده. إنما تعلل هذه الأحكام بعلل مغرضة محرفة ولنضرب لذلك مثلا:—

أخذ (لورنس براون) أحد دارسى الأديان يتكلم عن الاسلام فى كتابة (طوالع الاسلام) محاولا أن يصور الاسلام مفرقا إلى مذاهب (كالقادانية والبهائية والوهابية) وهو فيما ذهب اليه يقول باختلاف الطبائع بين الأجناس الاسلامية فى طرائق تفكيرها، فتفكير الصحراء الذى ظهر به المذهب الوهابى

غير تفكير الأقاليم الهندية والفارسية التى امتزج فيها الحس بالتخيل وهو واهم فيما ذهب اليه وهما بالغا فما كانت الرقعة الاسلامية الممتدة من الهادى إلى الهندى شبيهة بأوربا المضطربة المملوءة بالعصبيات المذهبية والنزعات الجنسية . إنما كان المسلمون دائما فى العالم كله وحدة لاتنفصم يجتمعون إلى دين واحد من شأنه أنه يلون معتنقيه بلون واحد وصبغة واحدة تتصل بالخلق والحس والمجتمع فى كل حالاته اتصالا عميقا فلا يكون اختلاف الألوان ولا الأقطار إلا قوة تزيد هذا اللون حياة ووضوحاً ، وما كانت المذاهب الاسلامية المشتقة منه الأسعة فيه ورحمة ـ أما المذاهب الكاذبة المختلقة كالقادانية والبهائية فهذه ليست مذاهب إسلامية صحيحة إنما هى حيل استعمارية مخترعة ليضاف بها إلى الاسلام ماليس فيه عن طريق بعض الجهلة وصنائع الاستعمار وهذه لا يعتد بها ولا يحسب حسابها حين يتحدث الباحث المنصف عن الفرق والمذاهب الاسلامية التى تستقى من منابع الاسلام وتختلف فى الفرعيات فقط ، ولا تختلف مطلقا فى الأصول والقواعد العامة

فلا يظنن هذا الباحث المغرض الذى يتخبط والذى يقيس أحكامه على المذاهب الموضوعة أن بالاسلام فرقة وتمزيقا أو أن لمذاهبه أثر يسى إلى وحدته الكبرى ورابطته العامة .

إن الهنا واحد ومحمد رسولنا والقرآن كتابنا المنزل من السماء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . ومن تعاليمه يستمد كل مسلم على وجه الأرض نظام الحياة فمن أين يأتينا الاختلاف ؟

أساليب الاستعمار والتغريب

ومن وسائل الاستعمار شراء أقلام الكتاب بالمال أحيانا باسم الاستعمار صراحة وأحيانا باسم الديمقراطية ، ومعاونة الصحف وتزويدها بالورق والمطابع

والمال وخلق الأحزاب لتناصر الوزارات وتقيم البرلمانات وبذلك تخلق لوناً جديداً من التراشق الصحفى والكتابى المقذع الذى يخرج عن حدود أدب الكتابة وتنشىء الجماعات الثقافية والمدارس والملاجى للتبشير بقصد النيل من الاسلام كما استطاع دعاة التغريب أن يفتنوا بعض رجال العلم فى ممالك الوطن الاسلامى بالألقاب والازياء (فاكتفوا بالشبع والرى ورضوا بأن يكونوا صدى لذوى الاطماع وحواشى لأولى النعمة وهوامش لصحيفة الحياة)

ومن ثم عرفت الأذناب الزلفى والرياء والسير فى ركاب الغاصب ـ والحقد والتطاحن والاستعلاء . وتقلبت الأقلام المشتراه تبعا للمادة تناصر مصالحها وعملت الأحزاب للسياسية التى تختار لحكم البلاد فى حدود مايصل إلى أيديها من مادة ونضار واستعمل الاستعمار فى بعض البلاد نظام تعدد الزوجات فى القصور أو تعدد المحظيات وهذا نظام من شأنه أنه يقتل شعور الولاء والمحبة فى الأسرة الواحدة ويفسد الأخلاق ويعلم النفاق ويضعف قوة البدن والروح ويبعث على الجبن والترف والعقود عن الجهاد ويمكن لطبقات الخدم والحشم من النفوذ والسيادة التى تكون أحيانا لحساب بعض الغاصبين أو الاعداء ، ومن أساليب الاستعمار خلق مذاهب وهمية باسم الاسلام (كالقادانية) التى يقوم بالدعوة لها فى الهند (غلام أحمد القاديانى) والتى لها بمدينة لاهور مدرسة تدعو إلى تحريم الجهاد . . . وانكار رفع السيف أمام أعداء الاسلام وحض المسلمين على الدخول تحت لواء الانجليز وقد أدعى هذا المسيلمة الجديد الكذاب نزول الوحى والرسالة عليه .

ومن أساليب التغريب والاستعمار ومحاربة الاسلام محاولة أحياء حضارات قديمة بائدة فى الاقطار الاسلامية رغبة فى ايقاظ العناصر المختلفة لتوسيع شقة الخلاف بين أبناء الوطن الواحد ، والسعى إلى تمزيق الأقطار بالأحزاب والفرق وباثارة مبدأ القومية باحياء الحضارات المغرقة فى القدم لتضعف روح الجامعة القائمة والوحدة المركزة .

سياسة التمزيق أو التقسيم

وسياسة التمزيق والتقسيم هذه سياسة معروفة منذ عهد قديم فى أساليب الغزو والاستعمار السافر والمحجب ، وهى من أسباب سحق حيوية الأمة وكيانها وهى تستعمل فى كل قطر من الأقطار الاسلامية على الوجه الذى يراه الغاصب (بربر وعرب - سنة وشيعه - دروز وعلو بين مسلمين ومسيحين - مسلمين وهندوس) وهكذا . . وسياسة التقسيم لاتقف عند هذا الحد بل هى تقسم القطر الواحد إلى أقسام تفصلها فصلا تاما بحيث لايستطيع المواطن الانتقال من هذا الجزء إلى ذاك إلا بتصريح ، ونحن فى مصر نرى ذلك فى شبه جزيرة سينا التى يحكمها حاكم انجليزى له الحق فى التصريح بقبول أو رفض من يرغب فى (زيارة) شبه الجزيرة وكذلك بيننا وبين السودان وفى السودان بين جنوبه وشماله وفى الشام بين لبنان وسوريا وفلسطين وشرق الأردن وتمزيق المغرب إلى ليبيا وتونس والجزائر ومراكش وهكذا وتقسيم القطر داخليا إلى هيئات وأحزاب يضرب بعضها بعضا وفى الجزيرة العربية إلى سلطنات يناوئ بعضها بعضاً بتحريض الغاصب والمستعمر وتقسيم التعليم إلى مدنى وازهرى وتقسيم القانون إلى شرعى وأهلى وتقسيم الزى إلى عربى وبلدى وأفرنجى . وتقسيم الناس إلى رجال الدين ورجال السياسة ورجال الاقتصاد ورجال القانون

وإعلان نشر احصائيات الجرائم مع أن السبب الأول فى الجرائم هو تعطيل الأحكام الشرعية مما أدى إلى نقش المرض والجهل والفقر، فالفقر سببه الأساسى تعطيل الزكاة فضلا عن رغبة المستعمر إلى قمع العقول بالجهل والقوة بالمرض ومن أساليب الاستعمار غزو المال بالمرأة والخمر، وغزو الصحة بهما ، حتى تفنى هذه الأموال فتصل إلى يده فضلا عن أن دولاب الاقتصاد فى قبضته - وكذلك غزو الفقير العامل بالمكيفيات تنهك بدنه وتقتله على أقساط فضلا عن بخس ماتنتجه يده من حبوب أو أقطان ليظل فقيرا ضعيفا فلا يقوى عل جهاد المستعمر ولا يستطيع رد

الغاصب وكيف يرده وهو صفر اليدين من المال والصحة وهما عماد الجهاد وسناده في مناهضة الاستعمار .

ومن وسائل الاستعمار هدم اللغة الفصحى وتشجيع اللغة العامية ، وهدم الأدب الرفيع وتشجيع الفكاهة والتنكيت وتحويل دفة التفكير من الدين إلى غيره حتى لا يكون الاتجاه الديني مدعاة للقوة واليقظة والتوجيه الصحيح ومن وسائلهم السينما وما يعرض على شاشتها من الفحش والكشف الفظيع وأثره السيء في عقول المراهقين والمراهقات ومن إذاعة صور الغرام واللهو وأساليب المغازلة ما يؤدي بالشباب إلى الجريمة وكذلك الروايات البوليسية وما تهيء في الشباب من أساليب القتل والسرقة ومعرفة وسائل الهروب، وسياسة مندوبي الدول المستعمرة في البلاد من أعجب أسباب التلاعب الفني والاجرام الاستعماري فمرة ترسل مندوبا ظالما يضرب بيد من حديد ثم ترسل آخرين كالثعبان ، ثم ترسل ثالث يبتسم ولكنه يكن الرغبة في سحق الكرامة الوطنية ويعمل القبض والتهديد والاعتقال والارهاب في إحرار الرجال سجنا ونفيا وشنقا — ثم تستعمل الجاسوسية على أهل الوطن يستغل لها الضعاف الخونة . ثم تدرس شخصيات الزعماء ويستولى على نواحي الضعف فيهم — ثم تعمل السياسة الاستعمارية عملها في الايقاع بين المذاهب والطوائف وحماية الأقليات وتقوية روح القوميات لاضعاف روح الوحدة الدينية ، وفتح المصارف وبيوت المال بالربا الفاحش . والاستيلاء على الخامات والمناجم والبترول ونزع الملكيات بعد الأغراء بالقروض

ثم إذاعة الثقافة القائمة على الشك والتجرد من الوراثات والنظر إلى المخلفات والتراث القديم بعين الاستخفاف والشك فيه وتغليب جانب الوضع فيه على جانب الطبع

وتشجيع اللهجات وتسميم اللغة . وإذاعة زخارف الحضارة ، وخلق روح الاستهتار والاستهانة بل والسخرية بالدين وبتقاليده عامة ، رغبة في قتل الروح المعنوية ، ونشر التبشير عن طريق المستشفيات والملاهي والمدارس — وخلق

روح الأثرة فى الأفراد ، كل إنسان لا يريد الآخير نفسه وفى الطبقات كل طبقة تتعالى عما سواها وكل أمة تتعصب لجنسها ، والاعتراف بشرعية الربا ، واعتباره قاعدة التعامل ونسيان الجزاء الأخروى وإنكاره ، ومحاولة اقصاء الدين عن الدولة ومطاردة رجال الدين إلى الأديره والمعابد

والعمل على إيجاد أشباح إسلامية الظاهر تغرى السذج وتقلب الحقائق ، وتشجع الخرافات والبدع والجمود فى المذاهب الدينية لأنها من أسباب الضعف كما أنهم يعلنون إسلام بعض الأوربيين واستشراق بعضهم الآخر لحيل استعمارية محضة أيضاً .

كما أن البعثات تعنى بأن تنشر بعد عودتها إلى بلادها رسائل فيها صور مغرضة تمثل جوانب من الحياة فى الشرق لتشهد على انحطاطنا وتأخرنا وانتشار الأمراض فى شعوبنا حتى تبرهن للغرب بأن استعمارها لنا إنقاذ من الجهالة والفقر وإننا لم ننضج بعد حتى نستطيع أن نتحرر ونحكم أنفسنا ، فضلا عن آثار الاستعمار على تربية النشىء بحضة على الخروج على الدين والاستهانة بالعزة الاسلامية والشك فى التاريخ الاسلامى بل وفى قواعد الاسلام نفسه حتى إذا وصلت هذه الطبقة إلى قيادة البلد وحكمه فيما بعد استطاعت أن تعمل للغرب وللتغريب وإن تعين الاستعمار وتحبه

بقى أن نتكلم عن أجل أسباب الاستعمار والتغريب قوة أثرا .

الأحزاب السياسية(١)

أدخل الغربيون فى روعنا أنه لا يكون استقلال وحرية وحياة تشريعية وبرلمان إلا بوجود أحزاب تتناحر وتختلف ، لا عقليا فليس لهذه الأحزاب برامج إنما تتناحر شخصيا بالسيادة والسلطان والقدرة على الوصول إلى كراسى الحكم والثراء ومحاباة الأقارب والأهل والانتقام من الخصوم فأصبحت الأحزاب غايات شخصية ومادية ينتسب إليها الناس لتقضى مصالحهم

---

(١) انظر التفاصيل فى رسالة القادمة (صفحات سوداء من تاريخ الأحزاب السياسية فى مصر)

ومن ثم أصبح للأحزاب أبعد الأثر فى هذا التناحر العجيب ، وفى حوادث القتل والاضطهاد بين أهل البلد الواحد والقرية الواحدة والوطن الواحد كل يناصر حزبا ، وهذا الحزب فى الحكم يستطيع أن يعين ويفصل ، ويقدم ويؤخر ويجلب الخير ثم يناوئه الحزب الآخر حين يصل الحكم بهدم ماأقامه وباعانه هذا الفريق على ذاك ومن ثم أصبحت معركة الانتخابات معركة دموية يتقاتل فيها الناس وتقضى فيها على الأرواح وتخرب فيها البيوت ، وأصبح النواب سماسرة يدعون أنهم سيفعلون ويفعلون ، فاذا هى مصالح شخصية لا مصالح وطنية وهم إذا نجحوا أخفوا أنفسهم واقفلوا أبوابهم عن الأنصار الذين استنجدوهم فانجحوهم ومن ثم أصبحت المسألة كلها تناحر على المصالح الشخصية يرجوها الكبير والصغير ، وإن كنت فى شك من ذلك فاستمع إلى الذين يتكلمون فى البرلمان تجدهم أربعة أو خمسة

وبهذه السياسة التى خلقها الاستعمار أنتقلنا من الدين إلى الحزبيه : الدين الذى يجمع ويوحد ويؤلف ويرفع النفوس فوق الصغار وفوق المطالب الذاتية ، ويدفعها إلى السمو بالوطن وإلى العمل الخالص الصادق المبرىء وإلى الأفق الأسمى الذى يضحى فيه الفرد بنفسه ومصلحته فى سبيل المصلحة العامة — إلى الحزبية التى تفرق وتمزق وتتنازع وتفنى القوى وتقتل الغرائم كذلك فعل الاستعمار وكذلك حاول ، وكذلك أرسل الفرق الراقصة المعطرة فى صالاتها ليجعل من كل فرقة مسرحية قوة تفعل أكثر مما تفعل كتيبة كاملة ومن هذا ترى أن الغاية الأولى والهدف الأسمى للاستعمار والتغريب : هو سحق الاسلام فى روحه ومعانيه واقصائه عن الميدان الاجتماعى وأقصاء الناس عنه ، والنظر إليه نظرة السخرية والشك لأنه هو عنصر القوة والعزة ولأنه هو الحائط القوى المتماسك الذى يعصم الأمة من شر الاستعمار ومن شر التغريب ، فإذا انهدم هذا الحائط فقد استطاع الغرب أن يطمئن إلى بقائه ولكن الله جلت قدرته قذف فى قلوب المسلمين قوة اليقظة فقاموا أزاء هذا الاستعمار يصارعونه ويقارعونه لا بقوة الحديد التى يعتصم بها الغرب وإنما بقوة الروح والاسلام

والقرآن التى تغلب كل قوة والتى وعدها الله بالنصر والعزة متى تماسكت وصبرت وترابطت

* *

وبعد : فالغرب مؤمن تماما بأن الشرق الاسلامى هزمة من قبل فى أسبانيا وجنوب إيطاليا وفى فلسطين وفى البلقان وضربه ضربات قوية ، فلما أعطى القوة ورأى مافى المسلمين من ضعف أراد أن ينتقم أنتقام خصومه صليبية حاقدة وما كان الاسلام يريد به حين غزاه إلا أن يطهره وينشر فيه رسالة العدل والأخاء والحرية بين الناس جميعا فى الداخل وفى الخارج ، عملا لا كلاما ، إلا فليعلم الغرب وليعلم المسلمون أن الاسلام لم يكن يوما واحداً سبب الضعف والجمود والهزيمة ، وإنما كان التملص منه والغفلة عنه وتعطيل شريعته هى أسباب الانحلال فكان هذا الغزو الذى أذاق الشرق عذابه ومرارته إنما هو الجزاء والانتقام وإلى أن يعود المسلمون إلى دينهم يرفع الله عنهم هذا الظلم وهذا الاستعباد

* * *

فى فتح الجيوش لبيت المقـــدس سنة ١٩١٩ قال اللورد اللنبى كلمته الظالمة (الآن انتهت الحروب الصليبية) فأظهر الغل الكمين والحقد الدفين المبيت فى صدر أوربا الصليبية على بلاد الاسلام ، ومن المفارقات العجيبة أن المسلمون هم الذين استخلصوا بيت المقدس باسم الدولة العربية من تركيا العثمانية

وإن كانت أوربا ماتزال تتمسح بكلمة المسيحيه وبالنعرة الدينية وبالعصبية النصرانية فان هذه أسماء وألفاظ وملابس تمثيلية فحسب ، أما الواقع فانهم لايعرفون عن الدين شيئا ولا عن الرحمة قليلا أو كثيرا - إنهم لايعرفون الله ولو كانوا يعرفونه لعلموا أن الاسلام هو دين السلام لهذا العالم ولهذا الانسانية ولو كانوا يعرفونه لعرفوا أن أنجيلهم كتب بمداد الرحمة والسلام والتسامح إنهم قساه غلاظ الأكباد ينظرون إلى الشرق على أنه ليس من بنى الانسان

وإنه من طينة أخرى غير طينة أوربا والغرب ، وهو حقا ليس من طينتهم لأنه مسلم طاهر يعرف إلى أى مدى يكون السمو عن الحيوانية المقاتلة الجائعة إلى الانسانية السامية المؤمنة ، التى لاتجاهد فى سبيل الاستعباد والاستعمار ولكن تجاهد لتكون كلمة الله هى العليا فى الأرض .

فرنسا الآثمة

تتشدق فرنسا دائما بدعوى أنها حامية المسيحية فى الشرق ، وأنها قد ساعدت الموارنة سنة ١٨٦٠ حين حدثت ثورة لبنان وأن لها مستشفيات وكنائس ومدارس فى الشرق .

وهذه خطة استعمارية لئيمة تتخذها فرنسا دائما لتمكن لها فى كل مكان تحل فيه ، وقد استعملت نفس الخطة فى شمال أفريقيا . وماعليها إلا أن ترسل البعثات باسم العلم الشريف لتغزو القلوب بالجهل الفاضح فتؤسس المدرس والمستشفيات والكنائس ، تفتن الناس عن دينهم ومجدهم الوطنى واللغوى والروحى ولا تزال أوربا تعمل على تناحر الأديان فتسلط اليهود على المسلمين فى فلسطين فى مناورة مكشوفة ليفنى بعضهم بعضا فتستريح هى من أحدهما وكلاهما عدو

ألا فلتعلم أوربا المستعمرة أن المسلمين والمسيحين فى الشرق ليسو فى حاجة إلى حماية منها وأنهم إخوة متآلفون وأنهم يؤمنون بالوطنية والحرية، وأن الأخاء متبادل بينهم على أتم صورة ، وأنهم وحدة قوية وجبهة حية أمام العدو الدخيل

وأن مسيحى الشرق يعلمون الآن أنه ليس فى الشريعة الاسلامية إلا كل خير ، وأن الأديان كلها تنظم المجتمع على أساس محاربة الخمر والزنا والربا ، فلا يشك مسيحى الشرق فى أن قواعد الاسلام فى هذا الأمر خير قواعد المجتمعات ، فضلا عن أن القرآن أوصى برعايتهم واسداء الود لهم وبرهم وفى

تاريخ الفتح الاسلامى كان المسيحيون أرغب إلى المسلمين فقد أذاع الاسلام فيهم العدالة ونشر الأخاء ولم يفرق بينهم وبين المسلمين فى القضاء ولا فى المراتب ولا فى أى شىء أبدا

أما فيما يتعلق بالفرق والمذاهب الاسلامية فلنا فيها كلام :

حين تنظر فى العراق إلى فريق الشيعة بالذات وإلى إيران ونزعتها الشيعية ، وإلى الحجاز والمذهب الوهابى المعروف ونظرة إلى القبور والقباب وإلى الامامة الزيدية فى اليمن ثم تنظر إلى الدروز فى سوريا والعلويين تجد خلافا بينا فى التقاليد والأوضاع ولكن لا تنسى مطلقا أن لب العقيدة والفهم الاسلامى لها والقواعد التى تقوم عليها أساس الاعتقاد وهى لب النظام الاجتماعى نفسه ماتزال سليمة سلامة تامة وكذلك ما يزال الإيمان الصادق بوحدانية الله والتصديق برسوله وبالقرآن قوى لايتأثر بهذا الخلاف فى الفرعيات ، فالكل يؤمن بالوحدة التامة إزاء الدفاع عن العقيدة والوطنية والرغبة فى إعادة أحكام الاسلام وتشريعه والشعور بمدى اثر هذه الأحكام الإسلامية وتنفيذها لا يختلف فى وجه ما من هذه الجهات مع العلم بأن هذه الخلافات القائمة على الأوضاع الموروثة لا تلبث أن تزول عند ما تعم النظم الثقافية الاسلامية فى العالم الاسلامى كله فتتوحد فى ثقافة واحدة تتسامح فى اختلاف المذاهب وتتغاضى عن الفوارق وتدرس هذا المذهب أو ذاك فى تسامح وحب . هذا فضلا عن أنها ما دامت لا تختلف فى صلب العقيدة وقاعدتها المتعلقة بالوحدانية والنبوة والقرآن فان كل خلاف فيما عدى ذلك فرعى لا يكون سببا لعداء أو الخصومة ـ وإن الغاية الكبرى والهدف الأعظم إنما هو الوحدة تحت لواء القرآن ، وحدة من شأنها أن تذيع مبادىء هذا الكتاب فى الأرض . وتقيم تشريعه وتنفذ دستوره وتتجمع عليه وتشعر بأنه هو العلاج الوحيد لما يصيب العالم الآن من شرور ونكبات ، وأنه يرسم فى وضوح حلول المشاكل التى أعيت المفكرين والمصلحين ويضع لها قاعدتها ويترك التفاصيل للمجتهدين والأئمة فتتعاون القوى جميعها على نظام موحد شأنه أن يأخذ من الحضارة الغربية كل ما هو خير ، وأن يمزج بينها وبين ما عنده من

ذخائر وحكم وقواعد لا يستطيع العالم الجديد أن يخلد إلى السلام والآخاء والوحدة إلا إذا أخذ بها .

كيف استيقظ الشرق الاسلامى وعاد إلى فكرته الاسلامية يفتقدها ورد عن نفسه شرور التغريب والاستعمار ؟

كان جمال الدين الأفغانى أول من قرع الأسماع بالحديث عن الجامعة الاسلامية والوحدة التامة تحت لواء الخلافة لو صلحت الخلافة . ومن قبل كان محمد على الكبير يدعو إلى الامبراطورية العربية ، وكان يرنو إلى أن يضم تحت لواءه كل أرض يتكلم أهلها العربية ، فردته الدول الغربية وتجمعت له ونفضت عنها خلافاتها لتمحو أثره ولتضع حداً لتقدمه وتوسعه حين رأت جيوش العرب المصريين المسلمين فى البلقان تقمع الفتنة وترد شبه جزيرة المورة إلى الخليفة ، حينذاك عرفت أوربا حقيقتان : الأولى أن الاسلام باسم محمد على يريد أن يتوسع فى أوربا ، وأن تركيا العثمانية على فراش الموت فلا بد من هدم محمد على ولا بد من تقسيم دولة الرجل المريض ، ومن هنا استفاق فى نفس الغرب شعور الاستعمار على وجهه العملى بعد أن كان محاولات على حافة الخليج وجوانب السواحل وقد كان نضال جمال الدين وماتبعه من جهاد محمد عبده وثورة عرابى وثورة المهدى ومن قبلهما دعوة السنوسى بصحراء ليبيا ، كل هذا كان تجمعاً للوحدة الاسلامية وإعلاناً لصوتها بعد طول خفوت ومنذ أن استيقظ هذا الصوت لم يضعف بل ظل يتقدم ويعلو حتى كاد يصم الآذان . ومنه عرف المستعمر الغاصب أن هذا المسلم كسلفه لا تلين له قناة ولا يصبر على ضيم لأنه سرعان ما نفض عنه تراب الذل وقام يدفع فى وجه الغاصب دفع الفدائى المؤمن .

كانوا يقولون ـ باسم الاستعمار ـ أن الاسلام عقبة فى سبيل النهوض فقلنا لهم أن الاسلام هو عامل النهوض الأول ولعله دين آخر .

وككل الأحرار وككل الدعاة إلى الله لقى المجاهدين الأول بالسيف والقلم واللسان أشد ألوان الاضطهاد والمقت من الغاصب ومن الصنف الخائن الذى اصطنعه المستعمر ليقتل به نفسه ووطنه ، لقى ذلك محمد عبده وجمال الدين

والمهدى ولقية الكواكبي والجزائرى والشيخ شامل وعبد الكريم الريفي والبارودى وعرابي وأحرار سوريا والمغرب وعمر المختار والوفا مؤلفة من الجنود المسلمين المجهولين والوفا ممن لا يزالون فى السجون والجزر مشردين لأنهم آمنوا بالحق ونادوا به .

وكانت دعوة جمال ومحمد عبده كدعوة محمد عبد الوهاب وابن تيميه وابن القيم رجوعا إلى المنبع الأول والمعين القرانى الصافى فأن ذلك كان أرهاصاً لإيمان جديد مبرأ من الخرافات والخزعبلات والبدع والأوهام من شأنه أن يشعر المسلم بالاعتزاز وبالبساطة والسماحة التى عرف بها الاسلام ومن شأنه أن يملأ قلبه إيمانا بحاجة هذا المجتمع المضطرب فى الشرق كله إلى إقامة أحكام الله والتجربة بين أيدينا تشهد بأنها خير وضع عرفته الانسانية عدالة وحكمة وعزة .

* * *

عيوب المجتمع

هذا المجتمع المملوء بالعيوب والأرزاء والأسواء والشرور فى كل ميدان من ميادينه ـ هذه السرقات وهذا القتل وهذا النهب والسلب وهذه العصابات التى تطاردها الحكومة ولا تستطيع أن تبيدها . هذا الشر فى المرأة والخمر والدعارة والربا والفحش . وفى الوساطة والرشوة والمجاملة وتقريب الأنصار والأصهار والأقارب . هذا النظام الموبوء كله ، هذه الأوضاع التى تبرز الجرائم وتعين على الهرب منها وتعطى فرصة للجانى والسارق والمزور والمبدد لا يصلحها ولا يردها إلى نصابها إلا العودة إلى كتاب الله : خلق كريم وتشريع حازم .

العالم الاسلامى الجريح

ماذا يفعل القلب المسلم المتأزم بالحادثات المحزنة المثيرة وهو أينما يتلفت يلقاها بوجهها العبوس . كيف يقر للمسلم قرار وكيف يهنأ له نوم أو طعام وفى كل قطر جرح ينغر وفى كل جزء من العالم الاسلامى جريح يئن .

إن الصدر ليضيق حين تتوالى عليه أخبار الحادثات مما تفعله أوربا المجرمة السفاكة بهذا الشرق الأعزل المسالم من بطش بزعمائه وتجريد لخيراته وسبق للشعوب المسالمة الآمنة التى تطالب بحقها وحريتها إلى الذل والقتل والتشريد ، تسلط عليها المدافع والطائرات والقنابل وتفتح السجون للأحرار وتنفى من تريد منهم إلى مهامات الصحراء .

فأينما تلفت وجدت ما يحزنك وما يثيرك ، وما يملأ نفسك حزناً وانقباضاً ورغبة فى الانتقام من أولئك الظالمين المجرمين الذين لا يرعون للانسانية عهداً ، ولا يعرفون للكرامة حقا ولا للرحمة بابا .

تتلفت إلى الشرق فتجد فلسطين الذبيحة وقد تركت أوربا بها شرزمة من شراذم المشردين فى الأرض يتحكمون فيها ويتسلحون ويقيمون لهم بناء ويطالبون بوطن ويشترون أرض الأحرار فى جرأة عجيبة تظاهرهم انجلترا ، وكأن الأرض أرضهم وغيرهم الدخلاء وكأنهم أهل الوطن وغيرهم الغرباء . وهذا الرجل المجاهد الكريم مشرد مبعد عن بلده بتحريض اليهود الذى عرفوا فيه العزة والقوة حين وقف أمامهم سداً منيعاً يحول دون تنفيذ أغراضهم المجرمة فى إقامة وطن لهم فى فلسطين .

وإذا تلفت حولك رأيت الجناح الأيسر للعروبة ممزقا تتقاذفه فرنسا بألوان من الاتهامات وتعمل فيه بالإرهاب والإجرام وتحاول أن تنزع جنسيته وترده إلى جنسيتها وتريد أن تجرده مما يملك . وتميت لغته ودينه فتشيع فيه الجهل بهما . وتجعله قطعة طريدة مظلومة ـ ولكنه لا يصبر على الضيم فهو يجاهد ويناضل

ويكافح لا تلين قناته لظلم ولا يصبر على شر يراد به مهما حاول المستعمرون استعباده أو إرهاقه أو إذلاله فانه أبى ، لأنه عربى ، تجرى فى عروقه دماء العزة ولأنه مسلم ، يملأ قلبه نشيد القرآن الذى استطال به أجداده على العالم وفتحوا به المشرقين والمغربين .

البناء الجديد

بقى أن نعرف ماهى عيوبنا ونحن نقيم البناء الجديد . بناء النهضة حتى نعرف ما نحن بسبيل إليه وماذا أعددنا لهذه العيوب من أدوية وعلاج .

لدينا ذبذبة فى الأوضاع وخلط بين القديم والجديد والشرق والغربى ، ثنائية فى كل شىء

الحركات الاسلامية لا يؤيد بعضها بعضا بل على العكس ينتقص بعضها بعضا فقد استنصرت الأندلس بتركيا قديما فلم تنصرها واستنصر المهدى بالعالم الاسلامى فأنكره الأزهر وأنكره السنوسى .

ونحن فى هذه الايام نكاد نشعر بهذه الروح ولولا أن المكان مكان إجمال لفصلناه (١) من عيوبنا قبول الآراء دون تمحيص والتسليم تسليما أعمى بما نسمع وبما يدور على الالسن وأننا نفرق بين لغة الكتابة ولغة الكلام ، وأننا نتمسك بالعاطفة والتقاليد فلا نتحرر أبداً من قيود العرف الخاطىء الذى تراكم عليه تراب الزمن ولانحكم العقل فنغضب سريعاً ثم يتلاشى غضبنا سريعا أيضاً ونؤمن بالفكرة ونتحمس لها ثم ننصرف عنها بدون عذر مقبول ـ فضلا عن اننا لانشعر بمسؤليتنا إزاء المجموع ولانضحى فى سبيل الفكرة . ونتعصب لآرائنا وتقاليدنا ونتحامل على من يخالفها ولانضع الأفكار التى نسمعها أو نعرفها فى بوتقه الاسلام فنرى هل تتمشى معه

---

(١) تفصيل ذلك فى رسالتنا (دسائس الاستعمار فى الشرق)

أو تختلف عنه فنقبلها إذا كانت الأولى ونرفضها إذا كانت الأخرى ويميل ميزاننا مع قواعد الاسلام دائما واعتدنا كذلك أن نسمع مايقاسى اخواننا المسلمين فى شتى الأقطار فنغضب أو نحزن أو نبكى أو نحوقل وما كان لهذا كله نتيجة عملية ولا قيمة للحسرة على الملك المضيع وما تقيم الحسرة بناء وما ينفع البكاء على فائت . إنما العزيمة أن نقدم فلا نتراجع . وأن نعزم فلا ننكث وأن نسمع بالمأساة فنعمل لها عملا إيجابيا وإنما تقوم الأمم على أنهار من الدماء واشلاء من القتلى لا على الدموع والنوحات .

ليس للمسلمين فى هذه الحياة غاية إلا أن تمتلك الفكرة الاسلامية قلوبهم إمتلاكا ثابتا متينا هو أشبه بالعشق الغامر القوى الذى يسمو على كل ماسواه ويتضاءل كل شىء بالنسبة اليه ، وإن يرافق هذا الإيمان قوة على الجهاد والكفاح والنضال وتحمل الأذى والتشريد والاضطهاد ، إيمان بالفكرة والتفاف حولها لدرجة الاعتقاد بأن الخروج عنها ضياع للكيان الإسلامى كله ، فلا خير أبداً فى إيمان بالفكرة لا يصحبه إيمان بقيادة وانضواء تحت لواء .

ولا فائدة مطلقاً ولا قدرة على اقتناص الحقوق إلا بالاجتماع الشـــامل الموحد بين دول الإسلام لا رغبة فى الظلم فما تبغى الأمة المسلمة إنتقاماً إنما تبغى تحرراً وعزة وسيادة .

ولا يكون ذلك إلا (بالتجمع للمبادى القرآنية وتقريب وجهات النظر بين الفرق المختلفة وتحرير الثروة القومية وحمايتها والعمل على رفع مستوى المعيشة وتحقيق العدالة الإجتماعية بين الطبقات والأفراد والتأمين الإجتماعى لكل مواطن ، وضمان تكافؤ الفرص للجميع على أن نهدف إلى تحرير وادى النيل والبلاد العربية والإسلامية من كل سلطان أجنبى ومساعده الأقليات الاسلامية فى كل مكان للوصول إلى حقها وتأييد الوحدة العربية تأييداً كاملا والسير إلى الجامعة الاسلامية سيراً حثيثاً ومناصرة التعاون العالمى مناصرة صادقة فى ظل مثل عليا تصون الحريات وتحفظ الحقوق ويأخذ فيها القوى بيد الضعيف حتى ينهض وأمامه الدولة الصالحة التى تنفذ أحكام الاسلام وتعاليمه عملياً وتحرسها فى الداخل

ر تبلغها فى الخارج وتقدم مبادىء الاسلام إلى العالم كله ليقوم السلام العالمى على أساس الإخوة والروحية الفاضلة (١)

واللغة العربية هى أسمى اللغات وأولاها بالرعاية والمحافظة . والثقافة الروحية فى القرآن والتاريخ الإسلامى والأدب الاسلامى أبلغ أثراً من غيرها من الثقافات والآداب ـ والاتجاهات الروحية والاجتماعية والعقلية والسياسية فى الإسلام أكثر سداداً من غيرها مع الحذر الدقيق من القوميات القديمة (مغربية بربرية) (مصرية فرعونية) (سورية فينيقية) (عراقية أشورية) فتلك دسائس ضد الإسلام نفسه وضد الوحدة وضد التحرر بالذات .

عرفت الشعوب الشرقية الإسلامية بالصبر وهو كنز يجب أن يحاط بالعمل والجهاد فى سبيل الوصول إلى الأهداف ولكن هذا الصبر إذا زاد عن حده انقلب يأساً وضعفاً وذلة واستخذاء ، لاصبر على الضيم وإنما الصبر على الجهاد والعمل والاتجاه بخطى ، واثقة ثابتة نحو الهدف .

يجب أن يكون للشرق الإسلامى كيان مستقل مركز ، واضح الأهداف بين الحدود ـ روحه الاسلام ولبه العربية وقوامه الرجولة الحرة التى تتمسك بحقوقها فى قوة وتدافع عنها فى جلاء وتجاهد الغاصبين والمغتصبين ، المستغربين والمستعمرين .

إن الشرق يمتاز عن العرب بأن يفهم الحقائق على وجهها الصحيح ، فهو يعرف أن هناك بعثاً وحساباً ، والغربى لايعبأ بذلك . وهو يسأل ربه دائماً ويتوجه إليه والغربى غافل عن ربه كل الغفلة يعتمد على قواه : يقول الإمام الرافعى رضى الله عنه (إن الاحتلال فن عسكرى فى الأول ولكنه فن أخلاق فى الآخر ولهذا يجب تغيير نقطة إتجاه الشباب بحيث تكون مضيئة لامعه ، جذابة مغرية ، ولكنها فى ذات الوقت محرقه أيضاً . وهذه هى صناعة اهلاك الشباب

---

(١) من كلام الاستاذ حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين ومن منهاج دعوة الاخوان

بالضوء الجميل . وما على السياسى الحاذق فى الشرق إلا أن يحمى الزيلة فإن الزيلة ستعرف له صنيعه وتحميه)

ويقول : (وفى السياسة محاربة المساجد بالمراقص . ومحاربة الزوجات بالمومسات ومحاربة العقائد بأساتذة حرية الفكر . ومحاربة فنون القوة بفنون اللذة . ولكن لو فهم الشباب أن أماكن اللهو فى كل معانيها ليست إلا غدراً بالوطن . ولو عرف الشباب أن محاربة اللهو وهى أول المعركة السياسية الفاضلة ولو علم الشباب أن روح هذا الدين لست أعتقد ولكن أفعل . . .

. . . الزجاجة من الخزة الشرق المسكين تعمل عمل جندى أجنبى فاتح . وأن أول سياسة استعباد أمم الشرق أن يترك لهم الاستقلال التام فى حرية الرزيلة . إن هذا الشرق حين يدعو إليه الغرب (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) لبئس المولى إذا جاء بقوته وقوانينه ولبئس العشير إذا جاء برزائله واطماعه .

. . . إن الدينار الأجنبى فيه رصاصة مخبوءة . وحقوقنا مقتوله بهذا الدينار . كانت حكمة العرب التى يعملون لها (أطلبت الموت توهب لك الحياة) وغريزة الكفاح هى التى جعلت الأسد لا يسمن كما تسمن الشاه للذبح . . . »

ويصف أيضاً ثلاثة الجنود من الانجليز رآهم فى مرقص (وأعجبنى أن أراهم فى هذا المكان الهزلى الممتلىء بالصعفاء كأنهم ثلاث حقائق كبرى بين الاغلاط) وسمع أحدهم يقول (إن لهؤلاء الشرقيين ست حواس الخمسة المعروفة وحاسة الخمول الذى خدعتهم عنه الطبيعة البليدة فسموه الترف والهزل واللهو . والأمة الأوربية التى تحتل بلاداً شرقية تجد فيها لصغائر الحياة جيشاً أقوى من جيشها فعشرة آلاف جندى بقيادتهم وآلاتهم لا يصنعون شيئاً إلا الاستفزاز والتحدى وإثبات أنهم غاصبون ، ولكن ما أنت قائل فى عشرة آلاف مكان كهذا المسرح براقصاته ومومساته وخموره ورواياته وهؤلاء الرجال المتخنثين الهزليين الرقعاء الذين هم وحدهم معاهدة سياسية ناجحة بيننا وبين شباب هذه الأمة) ا . هـ

«يا شباب الاسلام (إن قضية الاسلام لها وجهان، وجه سياسي ووجه اجتماعي:
أما وجهها السياسي فأساسه الانساني هو الجهاد في سبيل الحرية - حرية
الأفراد وحرية القوى والمسؤول عن هذا الجانب السياسي من أبناء الشرق في
اعتقادنا هم أرباب السلطان وحملة الأقلام أما الوجه الاجتماعي فأساسه الانساني
هو التفاني بكامل الهمة وخالص النية في إعداد الأفراد والشعوب لهذه الحرية
فالحرية إرادة وكفاية وليست منحة أو عطاء ...»

ولكن أين جهاد القادة في سبيل الاسلام وأين جهاد أرباب الأقلام، شغل
هؤلاء عنه وشغل هؤلاء. فلم يكن بد من أن تتقدم الشعوب لتطالب بحقوقها بعد
أن تفهمها وتؤمن بها .

وبعد فماذا كان من صراع بيننا وبين الاستعمار والى أي حد وصلنا في حرب الدخلاء؟

وإن موقف الغرب من محمد على الكبير والأسطول المصري العتيد في
معركة نوارين (٢٠ أكتوبر ١٨٢٧) وتصميم هذه الدول على وقف توسع
محمد على حين هدد تركيا وحين كادت جيوش مصر دخول أوربا وحين أرسلت
انجلترا حملة فيرزر الآثمة لغزو مصر سنة ١٨٠٧ ورد محمد على لها، والمعاهدات بين
فرنسا وانجلترا السرية والعلنية على تقسيم العالم الاسلامي - ومشكلة اندونسيا وسوريا
ولبنان والعراق وتركيا وايران ووعود انجلترا بالجلاء عن مصر من سنة ١٨٨٢ إلى
سنة ١٩٤٦ كل هذا يدعونا أن نقف دائما من تصريحات انجلترا وكلامها
ومفاوضاتها موقف الحريص اليقظ الشاك في صدق ما تقول - وعلى الشعوب أن تتكلم
وتطالب بحقوقها وأن تكون يقظة دائما لا تترك أمورها لحكوماتها، فان الحكومات
مقيدة دائما بواجبات وأوضاع، وهي لا تعمل إلا إذا كان صوت الشعب يلاحقها
في حرارة وقوة وحماس

وعد الحلفاء في الحرب وعوداً . في الحربين (الكبرى الأولى ١٤ - ١٩)
(والكبرى الثامنة ٢٩ - ٤٥) وقد تبين في الحرب الأولى أن هذه الوعود لم
تنفذ وأنها خدعة كبيرة وأظهر هذه الوعود (مكماهون والشريف حسين)

وتبين كذلك بعد الحرب الثانية أن كل وعود ميثاق الأطلنطى والحريات الأربع وغيرها كانت وعود الغريق ، ومن قبل فشلت عصبية الأمم فى حماية السلم فضاعت وعود أمريكا وولسن ثم أصبحت أمريكا بعد ذلك نصيره اليهود وحليفة الظلم والاستعباد وفرض الدخلاء على أصحاب الأوطان وفشلت الخطط الجديدة كالفاشيه والنازية واليوم تحاول الشيوعية أن تتوسع فى الشرق الاسلامى يؤيدها مابين الطبقات من فوارق وماذاق الناس من حيف الاستعمار ، ولو عرف الناس أن فى دينهم غنى عن شيوعية روسيا وإن روسيا لاتقل شراً عن غيرها لآمنوا بأن كل دعوة سوى الاسلام مصيرها الفناء وإن طال بها الزمان وأن على الشرق أن يبحث عن حريته وعزته لا أن يبحث عن المفاضلة بين استعمار واستعمار .

وقد تبين للشرق أن كل دولة فى أوربا تجارب لتسود ولتكون أكثر قوة من الأخرى وأن بين دول أوربى تعصب أجنبى أحمق على الاستعمار غايته سحق الشعوب الصغيرة وعصرها واعتبارها مزرعة لها

* * *

ماهى سياسة الغرب الآن ازاء الأقطار الاسلامية ؟

يتحكم الغرب الآن فى رقاب أمم الشرق الاسلامية ويتصرف فى أمرها ويتقاسمها فيما بينه دون أن يكون لهذه الدول علم بما يراد بها أو يحاك حولها ودون أن تشترك فى تقرير مصيرها . وتعطى الوعود إبان المحن والحروب بالرغبة فى التحرير والجلاء ورفع القيود . وتتشدق الدول بأنها تحارب فى سبيل الديمقراطية والعدالة وحرية الأمم للصغيرة فاذا ما انتصرت هذه الدول . ووضعت الحرب أوزارها بدأت هذه الدول من جديد تتحيل الحيل فى إذاعة ألفاظ براقة محاولتها إرضاء هذه الشعوب فتبدل كلمة الاستعمار بكلمة انتداب سنة ١٩١٩ وتبدل كلمة انتداب بكلمة وصاية سنة ١٩٣٦ وتحل محل المعاهدة العسكرية معاهدة اقتصادية والسبب

واحد والغرض واحد والنية المبيته فى ضمائر هذه الشعوب للشرق هى الاستعمار والاستغلال واعتصار ما فيه من خير والتسلط على مزارعة الخصيبة التى تغل بترولا ولحما وماسوى ذلك من خير ثم إيقاف ذلك عليهم وحدهم دون أصحابه

يجب أن يذكر الشرق هذا لئلا يثق بالوعود ـ ولا يصدق التصاريح ـ حتى المعاهدات المكتوبة التى توقع فى حفلات رسمية هى حبر على ورق ، تمزق فى أى وقت ، بل هى فى مجملها كلمات ناعمة لينة تستعمل لتخدير الأعصاب ولإطفاء الحماس ولقتل روح التمرد والثورة

وليس لذلك من علاج إلا القوة والتأهب والتجمع لمقابلة الظلم والطغيان بالثبات والتكتل ومعرفة الحق والوقوف دونه ـ لاتخدعنا ألفاظ ولا وعود ، ولا نطلب ولا نستجدى ولا ننتظر الصدقة إنما نأخذ حقوقنا أخذاً

سياسة الغرب

إن الدول الغربية تكتب تاريخا ملطخا بالدماء مملوءاً بالنقائص والعهود الباطلة والمواثيق الزائفة وبالمغالطات الكاذبة وبالافتراء والتجنى على الشرق ومحاولة سحق سيادته وتمزيق وحدته فهى تجرى فى سياستها على الطمع والاستعمار والاستغلال وتصل إلى ذلك بأساليب مرنه لينه وعهود مزورة لاتلبث أن تنقض وعلى الشرق أن يتنبه لهذه الوعود فلا يصدقها ولا يخدع بها . سياسة الغرب سياسه استعمارية بحته مهما حاول أساطين السياسة هناك التشدق بألفاظ العدالة والحرية وإن (المانيا) الدكتاتورية لم تسحق إلا ليقوم على انقاضها دول أشد منها رغبة فى الاستعمار والتوسع ـ لايزال الغل والحقد يملأ قلب الغربى المستعمر فيتقابل مع غربى مثله ليسود عليه وماكانت حروبهم هذه ، حروب الفناء ، ألا تنازعا على الاستعمار والتوسع إزاء الشرق ولكنهم مهما يحاولون من إذلاله وتهديده وسجن أحراره أو إغرائهم فانهم عبثا يحاولون

أمام قوة الاسلام التى لايقف أمامها الظلم والطغيان لأنها قوة القلوب المؤمنة التى تحب الموت وتتقدم مستشهدة فرحة فى سبيل العزة والحرية فليعرف الغرب ذلك إن كان عنه غافلا

انهيار المجتمع الغربى

فضلا عن ذلك فان نظرة الشرق الاسلامى إلى الغرب لن تكون أبدا نظرة احترام وتقدير فقد كان فى طوق الغرب أن يحمله على هذه النظرة ويدفعه إليها ولكن الغرب الذى لايثبت على وعودة ، السفاح المحب للدماء فى سبيل الغلب والفتح وانتزاع الأوطان من أيدى أصحابها لايمكن أن يرضى عنه فى أى قطر - إن فى قلب الغرب مرجل يغلى بالتنافس على السلطان والتملك فى الأرض والأرض لله يورثها من يشاء .

ولسوف يعلم الغرب أنه ينساق إلى انهيار سريع محتم . هذا الغرب الملحد الداعر الذى لايفهم الروحية ولا يؤمن بالله ولايصدق بالبعث ، ولا يعرف الانسانية ولا يقيم موازين العدالة لابد أن يهوى قريبا فى الهوة التى هوت إليها حضارة اليونان والرومان يوم تجردت من الرجولة وتبذلت واندفعت إلى حمأة الرذيلة والوحشية .

الحضارة الأوربية تقوم على أساس المادة والاغراق فى اللذات . وعلى أساس اللآله الفاتكة المدمرة التى كانت تخرج وسائل النعمة والخير فأصبحت تخرج الفواتك والقنابل ترمى بها الأمم الآمنة والشعوب المسالمة : مثل هذه الرخاوه التى وصلت إليها ، وهذا الانحلال وتلك الفضائح والمخازى لايمكن أبدا أن يثبت معها بناء

* * *

ولعل أقل نظرة إلى ماتنشره الصحف هذه الأيام عن الأمراض الخبيثة الفاتكة التى تفشت بسبب الترفية عن الجنود فى أيام الحرب من سيلان وزهرى فى أوربا وأمريكا لما يؤكد انهيار هذه الحضارة

ان نسبة الزهرى ١٠٠٪ من سن ١٥ - إلى سن ١٩ وأن ٩٠٪ من الاصابات انتقلت إلى الجنود من الفتيات الهاويات وأن ١٣ ألف أصابه بين الجنود الأمريكين فى ألمانيا فى شهرين ، ويرى الخبراء أن من الممكن القضاء على السيلان والزهرى خلال جيل واحد إذا طبقت التدابير بشدة وعناية

* * *

أما الشرق فما يطمئننا على أنه قد استيقظ هذا الشعور الحى الذى يتجاوب أنحاء الوطن الاسلامى العام . شعور التعاطف والوحدة الذى يبدو جليا واضحا وقويا دفاقا ، فمسألة فلسطين مثلا تجد الآن حتى من الهند شعورا قويا وصدى حيا عمادة الرغبة فى المؤازرة والمعاونة وكذلك يشعر الشرق العربى بالرغبة فى المعاونة الصادقة لأندونسيا وجهادها ولكن هذا التجاوب فى حاجة إلى أن ينتقل درجةأخرى إلى أعلى فيصبح إعانة صادقة بالجهود العملية وبالمال والرجال

قضايا العالم الاسلامى

انتهت الحرب وبدأ الشرق العربى كله يفيض حرارة وقوة واشتعالا ، ورغبة فى تنفيذ الوعود المقطوعة مطالبا بالسيادة والحرية بعد جهاد خمس وعشرين عاما منذ الحرب الكبرى الأولى وبين ثورات ووعود ،وظهر فى الأفق أكثر من مشكلة فى حاجة إلى العلاج

١ — حل مشكلة فلسطين بإيقاف الهجرة إيقافا تاما . ومنحها استقلالا كاملا فى ظل حكومة عربية وإعادة السيد أمين الحسينى وباقى المعتقلين إلى بلادهم معززين مكرمين

٢ — تحرير تونس والجزائر ومراكش من نير الحكم الفرنسى والاسبانى الجائر وضمها للجامعة العربية وإطلاق المعتقلين

٣ — تحرير ليبيا وطرابلس وضمها للجامعة أو أقامة وصاية من الجامعة العربية عليها إذا كان لابد من وصاية .

٤ — استكمال سيادة شرق الأردن والعراق ومصر
٥ — تحرير الهند وإقامة الباكستان لضم المسلمين تحت لواء واحد
٦ — تحرير أندونسيا واعترف الجامعة العربية بها
٧ — رفع الضغط الروسى عن تركيا

* * *

ويتناول الحديث السياسى فى الشرق العربى مسائل كثيرة (فالجامعة العربية) كانت نتيجة طبيعية ليقظة الوطن العربى وقد بدأت تشق طريقها فى قوة ولكن مسائل كثيرة لا تزال فى حاجة إلى التحقيق أولها الاعتراف بها اعترافا رسميا من الدول الغربية حتى تكون القائم الرسمى على أمم الشرق العربى ولا يزال أمامها مسألة ليبيا ومسألة أفريقيا الشمالية لم تتقدم فى العمل لهما خطوة واحدة وكذلك قضية فلسطين فى دورها الحاسم - وقد دعم حسن العلاقات بين مصر والحجاز قوة الجامعة وإن كان إثاره مسألة سوريا الكبرى وموقف العراق وشرق الأردن منها فى حاجة تعديل بحيث لا يؤثر ذلك على الرغبات المختلفة التى تقوم عليها الوحدة بين العالم العربى إذ أن مشروع سوريا الكبرى لا تزال ترفضة الحجاز ولبنان وليس هذا أوانه فضلا عن أن بهذا المشروع اعتراف ضمنى بتقسيم فلسطين واقامه دولة يهودية فيه،أما مشروع تقوية حائط الجامعة بتركيا وإيران وأفغانستان فلذلك أثر جميل لو خلص من الرغبة الانجليزية التى تريد أن تجعله حائطا ضد روسيا والأولى أن يكون سدا فى وجه الاستعمار كله ، وأفريقيا الشمالية العربية المعذبة فى حاجة إلى الإنقاذ وفى حاجة إلى صيحة عالية من الجامعة أما موقف انجلترا من سوريا ولبنان فلن يحول دون كمال تحرير هذين الوطنيين العربيين المعروفين بالاستمساك والثبات على الحق وبالجهاد الطويل فى سبيل الحرية وفى سبيل الجامعة العربية

ومسألة فلسطين تكاد تكون أولى المسائل وأولاها بالعناية فاليهود مسلحون وهم دائما يثيرون الشغب ومسألة التهريب سائرة تعينها انجلترا وتغمض الطرف عنها وموقف انجلترا وأمريكا الان أشد تعنتا واعتداء على حقوق العرب أصحاب الشأن وارجح لمناصرة اليهود

ولا تزال فى الشرق مسألة تركيا وإيران ـ وموقفهما من روسيا ومسألة أزربيجان ومساعدة الروس لهم ومساعدة الروس للارمن وتأييدها للكنيسة الارثوركية فى الشرق، كل هذا له أثره أيضا ومسألة تنظيم مقاطعة البضائع اليهودية لا تزال غير ذات أثر واضح وفى حاجة إلى تنظيم دقيق وإعداد كامل لا يتناول الجمارك فحسب بل ويتناول التجار الذين يجب أن يفرض عليهم تنفيذ نظام المقاطعة تنفيذا دقيقا بأن يوقف التعامل كلية مع الصهيونيين .

* * *

وأمام تلك المشاكل المتعددة تقف انجلترا موقف الترجح بين الأخذ والإعطاء حسبما ترى من حالة الأقطار والشعوب وهى تتبع دائما سياسة (كسب الوقت) حتى تعرف ما تتكشف عنه سياسة روسيا أزاء الشرق ونحن فى مصر نطالب بالجلاء الاقتصادى والسياسى والعسكرى والثقافى عن وادى النيل وعدم التقيد بأى امتياز خاص لأية دولة فى مصر مع المحافظة على حسن علاقة مصر مع مختلف الدول العربية والغربية ومع سيطرة مصر الكاملة على القنال فهو قطعة من قلب الوطن لا تتجزأ نحن المكلفون بحمايته عسكريا ولنا أن ننتفع به اقتصاديا فإذا تعنتت انجلترا أعلنا الخصومة والمقاطعة فأرهبناها وأزعجناها وحملناها على التسليم بحقوقنا فى قوة وجولة مع معارضة مبدأ المفاوضة معارضة تامة .

كيف كان موقف مصر خلال هذا (الزحف الاسلامى) وكيف أصبحت بحق زعيمة الشرق الاسلامى .

كاد تيار تركيا المستغربة أن يجرف الشرق كله أو مصر بالخصوص باعتبار أنها أرق البلاد وانضجها بعد تركيا فى المحيط الإسلامى وقتئذ . وارتفعت ألسنة المغرضين وأذناب المستعمرين من الكتاب يتملقون الناس باغراء الحضارة الغربية وحرية الفكر الأوروبى وحريته وبعده عن التعصب والمغالاه ونظره إلى الحقيقة المجردة دون اعتبار للوارثات أو الآثار الأخرى ، ولكن مصر

كانت قد آمنت بأنها مسلمة وأصبح استعدادها لتلقى قذائف الغرب لا يزيد عن أنها تتطلب خير ما فى حضارة أوربا ، وأن القول القائل بالأخذ بالحضارة الغربية خيرها وشرها قول مردود والقائلون به صنائع الاستعمار – الآكلون على مائدته المرتزقون من ماله ، الآثمون فى حق دينهم ووطنهم – وقفت مصر وقفة الأصرار على قوة العقيدة وعلى التمسك باللون الاسلامى بفضل المخلصين الصادقين الذين استمعوا إلى جمال الدين وإلى محمد عبده فساروا على نهجهما وإن بقى اللون الاسلامى حائلا . لأنه كان عرضه للتغريب تحت ضغط لمعان المذاهب الجديدة.

ولكن الجذور الثابتة فى التربه – والايمان المتغلغل فى قلوب المؤمنين بالفكرة الاسلامية لم يبرح قائما دافقا لا يعتوره أثر ما من تهاون القائمين على قيادة الفكر والرأى والدولة وما زالت الفكرة الاسلامية تكافح حتى أصبحت الآن حلية يتحلى بها القادة والعظماء ويتسارع إليها المفكرون وينتسب إليها كل من يريد التشريف لنفسه والرفعة لمكانه – ولبست مصر بطول الوقت ثوب الزعامة الاسلامية وتبعتها الأقطار الاسلامية عن صدق وعن حق . فما من شك أن مصر الإسلامية هى الحامية الأولى للاسلام كعقيدة ومجتمع وتشريع وما من شك أنها حصن اللغة العربية – وأنها القائمة على الدين واللغة والجامعة العربية كلها بحق وعن جدارة واستحقاق فهى تفهم الاسلام فهماً صحيحا وتعلنه فى الناس جميعاً على أنه نظام مجتمع وقاعدة تشريع يرتاح إلى ظلالها أبناء الطوائف جميعاً على اختلاف ألوانهم بل ويجد فيها الأجنبى أماناً له ولحياته – ومصر كذلك واعية اللغة الفصحى بين بلاد الضاد جميعها وهى توازن كفتى المتشددين والمستاحين وترجح بين التنازع الشيعى والوهابى وبين مختلف المذاهب والاتجاهات وتتوسط العقد فى ليونة ويسر وتجمع بين الطوائف كلها وتردها إلى المورد الموحد المشترك : كتاب الله وسنة رسوله .

وعلى هذا الصدى كان الغرب كله ينظر إلى الخطوات القوية التى تخطوها البلاد العربية وعلى هذا الصدى فى التجمع والتوحد بعين الانتباه .

بقى أن نتكلم عن الشريعة الاسلامية وفى كل أزمة أو مأساة نسأل عن الشريعة الاسلامية

إذا رأينا الربا ينتشر والتجار يفلسون والأرض ترهن والخمر تشرب والفساد تتبرج والرشوة تعلن والطب ينتقل إلى التجارة والمحقق يوقف الفقير ويجلس الغنى والدفاع يقلب الحق باطلا والباطل حقا والغش ينتشر فى الحبوب تخلط بالرطل والدقيق يخلط بالتراب وآلاف الصور من أمثال هذه المشاكل والآثام ، كلما مرت أمامنا هذه المآسى قلنا أين الشريعة الاسلامية ترد الأمور إلى نصابها ؟

حقا لقد عرف الغرب للشريعة الإسلامية فى مؤتمر لاهاى ١٩٣٨ قيمتها فأعلن بأنها نظام مستقل غير مأخوذ من التشريع الرومانى ـ ومثلت فى محكمة العدل الدولية كنظام قانونى مستقل من النظم العالمية الكبرى وقد اهتم بعض فقهاء القانون المدنى فى مصر بالشريعة الاسلامية وكان للسنهورى باشا خطوات طيبة فى ذلك خاصة فى القانون العراقى وهو يقرر أن للقانون المدنى دعامتان: الأولى عنصر التقليد وهو عنصر الثبات والاستقرار ويتمثل فى القضاء المصرى فيما اشتملت عليه تجارب نصف قرن كما يتمثل فيما يمكن اقتباسه من أحكام صالحة فى الفقه الاسلامى والدعامة الثانية عنصر التجديد وهو عنصر التطور ويتمثل فيما يمكن اقتباسه من القوانين الأجنبية .

ومسألة أخرى هى مسألة الاشتراكية الاسلامية القائمة على نظام الزكاة الذى فرضه الاسلام والذى هو دعامة الاصلاح ورفع المستوى الاجتماعى بما هو خير ألف مرة بما تدعو إليه روسيا فى شيوعيتها ،هذا النظام الثابت الذى لا تصلح الانسانية إلا به وتتجلى قوته ورسوخه فى ثباته وبقائه ثلاثة عشر قرنا ، أما النظم الوضعية القائمة فمصيرها إلى الزوال وإن كانت روسيا الآن بمبادئها هذه تغرى بعض السذج من الشبان ومن الناس فان من الغفلة أن ننخدع لأوضاع رسمها ذهن بشرى كذهن (كارل ماركس) ما تزال تحقق روسيا فى تنفيذها وتحويرها كل يوم على وضع جديد والمغرى فى الدعوة الشيوعية الآن هو بريقها الخاص بنظام الطبقات وتحسين حال العامل والطبقة الفقيرة وذلك لن يمكن أن يتم بالصورة التى نتصورها إلا بإقامة أحكام الله وجمع الزكاة وتوزيعها .

وفى التاريخ الاسلامى الأول صور رائعة عن مدى ما وصل إليه يسر الأقطار والناس حتى فاض مال الزكاة ولم يجد الولاة من يأخذه فضلا عن أنه يمحى آثار القتل والسرقة والدعارة محواً باتا إذ ثبت أكيدا أن كل الجرائم والسرقات وأن كثيرات من الداعرات يحترفن هذه الحرفة من ضغط الفقر والعوز والمسغبة فحسب وأنه لو وجد المورد لهؤلاء وأولئك لا نتهى الأشكال ولسعد المجتمع بحياة طيبة لا يهددها آثم أو أفاك ممن يدفعهم الفقر للانتقام من الأغنياء ـ أما الذين يريدون أن يفاضلوا بين محمد وستالين وبين القرآن والشيوعية فليس لهم لدينا جواب إلا أن نقول لهم أن هذا النظام سيندك على رؤوسهم بعد قليل .

العمل للاسلام

أعجبتنى هذه الكلمة للأستاذ على أدهم أثبتها هنا ليكون منها دليل على أن كتابنا الذين آمنوا بالحضارة الغربية قد شعروا بالموجة الجديدة وبالزحف الاسلامى فسجلوا شعورهم ، نسجلها هنا رغبة فى الاستفادة بكل توجيه للعمل للاسلام . والكاتب الفاضل يقول : (واجب المصلحين من رجال الاسلام فى العصر الحديث أن يتبينوا أن هذه النهضة الاسلامية الأولى لم تكن وهما من الأوهام ويتبينوا أن القدرة على السمو بالنفس الانسانية وإحداث ثورة مع الأحوال الدنيوية لا تزال (باقية) فى الاسلام تحت صدأ القدم وغبار الأجيال ومن اليسير إثبات ذلك فى وجه التاريخ وعلى ضوء حوادثه .

والباحث النزيه لا يمكن أن ينكر أن الاسلام كان من القوى الروحية الهامة فى التاريخ وأنه لا يزال قوى السيطرة على نفوس الأمم التى احتكت به وتشربت روحه ، ومصدر ما يعتوره من الضعف فى الوقت الحاضر هو أن الاتصال بينه وبين الحياة لم يسير فى طريقه المألوف ومجراه الأصلى الطبيعى بسبب الحوادث المعترضة والتوجيهات الخاطئة .

وتجديد الاسلام إنما يقوم فى العصر الحاضر على إعادة هذا الاتصال بينه وبين الحياة التى كانت مصدر قوته وعنوان فضائله والحياة فى العصر الحاضر منشقة على نفسها - وليس أقدر من الدين على التوفيق بين حياة الروح وحياة الجسد - والاسلام فى رأيى من أشد الأديان قوة على معالجة هذا المشكل وحل تلك المعضلة وقد حاولت الأديان الشرقية علاج مشكلة الحياة بالاعتداء على الجسد وإهدار حقوقه واعتبار المادة شرا وحاولت النزعة الانسانية الحديثة أن تنفى القيم المطلقة وأن توفق بين الإنسان والأحوال المادية باسكات هواتفه الروحية فهى تحاول من جانبها أن تضحى الروح لتنقذ الجسد وكلا الحالين لا يجدى .

حقيقة أن الحياة الدنيوية زهيدة فى نظر الاسلام بالقياس إلى الحياة الأخرى الخالدة ولكن الحياة الدنيوية من ناحية أخرى لها أهمية كبيرة لأنها فى الوقت نفسه إعدادا وتهيئة للحياة الأخرى فهى بمثابة الأساس للبناء الشامخ والمطلع للقصيدة العامرة وليس الموقف على وجه الاجمال سهلا لأن القوى الاقتصادية المسلطة على العصر الحاضر لا تعبأ كثيراً بالاعتبارات الدينية) ا هـ

وقد سأل على ماهر باشا عن المسلمين هل تراهم يجدون طريق الرجوع إلى الاسلام يوم ما ؟ فأجاب : أرى أنهم سيجدونه بل هناك طائفة من شباب اليوم تطمح وتسعى فى أن تكشف لنفسها طريق الدين ولكنها أقلية فنحن معرضون لآراء جديدة كثيرة تؤدى إلى أن تقوم فى الحياة المصرية حركات شتى يناقض بعضها بعضا : ا هـ

وهكذا ترى أن كتابنا وبعض ذوى الرأى قد أهمهم أمر الإسلام والواجب يقتضيهم أن يتجهوا إلى العمل المتواصل مع العاملين للاسلام خالصاً لا تدفعهم رغبة ولا تمنعهم رهبة لوجه الله دون انتظار أى جزاء من مال أو منصب أما الوضع الحزبى الذى لا يتقدم ولا يتأخر إلا على غرض شخصى فهذا هو سر ما نحن منه من بلاء .

الأمل للإسلام

نداء داوٍ يجب أن يصل إلى كل أذن وأن تتقدم له كل يد مصالحة متآخية متآزرة .

الإسلام يستيقظ ثم يزحف

أردت أن أقدم بهذا القول كله للحقيقة الواضحة الجلية التى تسجل يقيناً بأن الإسلام قد استيقظ، وأنه استيقظ يقظة صحيحة كاملة ، وأن الحركات الثورية من قبل الحرب الكبرى والحركات الثورية بعد الحرب الكبرى الأولى تبرهن بصفة قاطعة على أن الشرق استيقظ ، وأنه عرف طريقه المرسوم بالإسلام الحنيف فمضى إليه وأن الناس جميعاً من مختلف الأديان والألوان والأقطار والأحزاب والطبقات قد عرفت أن الإسلام هو أقصر طريق وأقوم طريق للوصول للغاية : حرية كاملة وعدالة شاملة ، حرية فى الوطن وعدالة بإقامة تشريع الله ودستور السماء .

ومن ثم فالإسلام منذ الحرب الأولى (١٤ — ١٨) إلى الحرب الثانية (٣٩ — ٤٥) يزحف زحفاً قويا إلى قواعده متذكراً سيرة السلف الامجاد ، راغباً فى العزة والقوة ، داعياً إلى التضامن والوحدة ، ومهما حاول الغرب المستعمر أن يفصل بين طوائفه أو يمزق بين أقطاره أو يقيم الحدود والسدود فهو متصل لأنه يهدف إلى أمل واحد . وتملأ جوانحه فكرة واحدة : هى الحرية الكاملة عن طريق الإسلام ، شرعه الله التى أعزت من سلف ومصدر السلام والعدالة لنا وللاجيال القادمة ولمشارق الأرض ومغاربها .

وأبلغ دليل على مانقول مايكتب المستشرقون وغيرهم من الشرقيين . هذا غويدى المستشرق يقول : لاريب عندى أن الجنس العربى سيلعب مرة أخرى دوراً خطيراً فى تاريخ الشرق والحضارة .

وهذا لويس ماسيثيون يقول : الحركات الفكرية فى الإسلام تستعد فى خفاء وصمت وتندلع فجأة دون أن يسبقها نذير يمكن أن يرى . فبعد أعوام من السكينة ربما تندلع بغتة نار الدعوة إلى الجهاد أبعد ما نكون توقعاً لها . ولا جرم أن الجهاد من مقومات العزه فى الإسلام وأنه يحافظ فى الحياة على هذه العقيدة وهى أن هناك أشياء أكبر من أن تكون بين الناس موضع مساومة بل هى حديرة بأن يمتشق للذود عنها الحسام ا . هـ .

وبعد : فليس أعجب من هذا الدين الذى يجمع الناس على لغات متعددة لا تلتقى ألسنتهم فيه إلا على آى الذكر الحكيم (القرآن الكريم) يقرأه الهندى والسنغالى والصينى والفلبينى باللغة العربية التى بها أيضاً يصلى .

القضية الاولى

إذن فأمامنا قضيتان فى حاجة كبرى إلى جهاد موصول وتذكير دائم : قضية الإسلام وتنفيذ أحكامه وفرض دستورة على المجتمع وفى ذلك ما فيه من العزة والقوة والعدالة يشهد بها تاريخه فليس من شك أن هناك فارقا كبيرا بين تشريع يوضع لقطر معين لظرف معين لحالة معينة لا يمكن أن يصلح لكل الأقطار ولا لكل العصور ولا لكل الحالات وبين التشريع القرآنى الذى وضعه الحق تبارك وتعالى للناس كافة وللاجيال عامه ، ولدينا التجربة الأولى تملن صادقة مدى ما أحرزت من نجاح وهنا نردد ما يقوله الأستاذ الزيات (لقد فشلت مذاهبهم الاجماعية كلها فلم تستطيع أن تخلص جوهر الإنسان من نزعات الجاهلية الأولى فلم يبق إلا أن يجربوا المذهب الاسلامى ولو على سبيل الاقتباس أو القياس : تصوروا نظاماً واحداً يصلح لكل زمان ومكان . ويقطع أسباب النزاع بين الانسان والإنسان يوحد بالله ولا يشرك به أحداً من خلقه ويقدس جميع الشرائع التى أنزلها الله لا يفرق بين أحد من رسله ويؤاخى بين الناس كافة فى الروح والعقيدة لا فى الجنس والوطن ويسوى بين الاخوة أجمعين فى الحقوق

والواجبات فلا يميز طبقة عن طبقة ولا جنس عن جنس ولا لونا على لون، ويجعل للفقير حقاً معلوماً فى مال الغنى يؤديه إليه طوعاً أو كرهاً ليستقيم ميزان العدالة فى المجتمع ويجعل الحكم شورى بين ذوى الرأى فلا يحكم بأمره طاغ.
ولا يصرعلى غيه مستبد ويحرر العقل والنفس والروح فلا يقيد النظر ولا يحصر الفكر ولا يقبل التقليد ولا يرضى بالعبودية ويأمر معتقديه بالأقساط والبر لمن خالفوهم فى الدين وعارضوهم فى الرأى ويوحد الدين والدنيا ليجعل للضمير السلطان القاهر فى المعاملة وللايمان الاثر الفعال فى السلوك وجملة القول فيه أنه النظام الذى يحقق الوحدة الإنسانية فلا يعترف بالعصبية ولا بالجنسية ولا بالوطنية وإنما يجعل الاخوة فى الايمان والتفاضل بالاحسان والتعاون على البر والتقوى فإذا تصورتم هذا النظام فقد تصورتم الاسلام وإذا أخذتم به اطمأن العالم المضطرب واستقر السلام المزعزع ولا يعنينا بعد ذلك أن تطلقوا عليه لفظاً يونانياأو لاتينيا مادمتم تسلمون وجوهكم إلى الله وتسلمون قيادكم لمحمد ا.هـ.

وإن كنا نحن نطمع أولا فى أن يكون هذا نظامنا وقواعد مجتمعنا نبينها بأيدينا، ليس لإنسان ما سلطه فى محاولة منعنا عنها وكفى بناصبرا على هذا الثوب المهلهل الذى ضم سبعين رقعة.

ولنوقن أننا أرباب الرسالة الاسلامية التى لاشك فى أنها أجل أثرا وأعظم خطراً وأشرف محتدا بهذا الدين الذى شرف به من انتسب اليه لاشرف تشريف ولكن شرف حقيقة. شرف المعنى الخالد الواضح فى أعماقه والأثر البليغ على وجه الأرض.

القضية الثانية

قضية العالم الاسلامى التى يجب أن تتوحد وتأتلف لتأخذ حقها كاملا تدفع عن نفسها الظلم والطغيان والاستعمار بكل ألوانه، عسكرى واقتصادى وثقافى وألا تؤمن هذه الأمة بالمعاهدات والكلمات المعسولة، إنما تؤمن بالحقائق التى يجب

التي تنفذ والحقوق التي يجب أن تستلب ، والايمان الصادق بالحرية يدعو إلى التمسك بها واحتمال كل شيء في سبيلها والفداء لهذه الرسالة بكل مرتخص وغال

وفي سبيل ذلك يجب أن ننسى كل خلاف وأن نرتفع فوق الفرق والمذاهب والقوميات الصغيرة لتتجمع ولتكون يدا واحدة : وبعد فلن ينام الشرق عن حقوقه مرة أخرى بل إنه لن يموت لأن فيه من الفدائيين من يدعو الله أن يميته شهيدا في سبيل العزة والحرية ونصرة الاسلام ولا ريب أن الاحفاد سيكونوا بعون الله أكبر استعداداً من الأجداد على الجهاد الاسلامي المقدس إذا جاء أوانه بعد أن نسيته الدنيا منذ قرون

لاخلاف هناك بين الطوائف والمذاهب فالغرض واحد ولا خلاف بين الأقطار فالهدف واحد ـ الاسلام هو قاعدة المجتمع المنظم الذي تسوده العدالة والحرية والقوة ولا ريب أن هذا كله في حاجة إلى القوى المركزه المهيأه المجردة له من مصارف إسلامية وصحف إسلامية وتعاون أكيد برفع القيود الاقتصادية والحواجز الجمركية والبرية والانتقالية . ومصر مركز الفكر الاسلامي والجامعة العربية يجب أن تكون مقصد الوحدة والحجاز المركز الروحي للاسلام يجب أن يكون مكان المؤتمر ، حتى تتم سياسة المزج بين المسلمين مزجا روحيا في أشرف الأماكن

ولقد كان للمؤتمرات الاسلامية السابقة أثارها الفعالة في قضايا العالم الاسلامي وسكة حديد الحجاز وقصة فلسطين ونحن أحوج ما نكون إلى مؤتمرات إسلامية منظمة تعقد في أوقات معينة بعواصم الأقطار الاسلامية لتوثيق الروابط وإعانة الجامعة العربية بالرأي والعقيدة على أن تنظم هذه المؤتمرات الأوضاع الثقافية والتجارية وتوحدها وتعين على التبادل والاتصال

كما يجب أن نذكر الأقطار الاسلامية باليقظة ازاء مؤآمرات المستعمرين في التفرقة بين العناصر واحتضان بعض هذه العناصر ورعايتها والعمل على كسبها والغاية الأولى أن نجتمع على الصدق والايمان والثقة أما الفوارق الثانوية في المسائل الفرعية فلا أهمية لها مطلقا ولن تكون مصدر جدل أو نزاع واذكر

أيضا إخواننا فى الأقطار الاسلامية بالأمل الكبير فى تخفيف الصلابة الموجودة فى التعصب لفكرة ما، رغبه فى ايجاد روح التسامح، إذ أن هذا التعصب مدعاة للتفرقة وسببا من أسباب الضعف وثغرة يستغلها الغاصب ولن ينجح مادمنا نفطن إلى أحابيله ودسائسه والأمل معقود على الوصول القريب إلى الحائط الاسلامى الأكبر: الجامعة الاسلامية هذه الجامعة التى دعا إليها جمال الدين والكواكبى وعبد العزيز جاويش رغبه فى جمع العالم الاسلامى كله بأوطانه ولغاته الفارسية والهندية والعربية تحت لواء موحد. لاضرورة أن يكون لوائا حكوميا أو عسكريا إنما يحسن أن يكون حلفا أشبه بعصبة الأمم ينظر فى أمور الأقطار الاسلامية ويسعى بها حثيثا إلى الوحدة الكبرى وإلى الخلافة.

والخلافة الاسلامية رمز الوحدة والقوة والإتحاد بين أجزاء الوطن الإسلامى تقف حين تقوم سدا حائلا دون زوابع الشيوعية ودسائس الإستعمار، ولها فضل المعاونة والاتحاد بين إجراء العالم الاسلامى واعانه الاجزاء الضعيفة والمظلومة فيه للوصول إلى حقها، وإن كان يمنع منها الآن أن الشعوب الإسلامية مختلفة فى نظم الحكم ولبعضها إتجاه خاص كافغانستان وإيران والحجاز واليمن وبعضها لا يزال خاضعا للانتداب الأجنبى وبعضها الآخر قائم على أساس التشريع الحديث، فضلا عما تتطلبه الدولة التى تحمل لواء الخلافة من نفقات كثيرة وتبعات ثقيلة لا تتحقق إلا بعد أن تتحرر الأوطان الاسلامية تحررا كاملا، إلا أن الأوطان الاسلامية الآن سائرة إلى طريق النضوج واستكمال جوانب النقص توطئه لتحمل هذا العبأ الشاق

والأمل معقود إن شاء الله أن يخطو المسلمون من الجامعة العربية إلى الجامعة الاسلامية والخلافة اسلامية

توجيه الشباب وقيادته

والكلمة الآن للشباب فهو فى حاجة إلى توجيه حتى يستطيع أن يقود الحركة قيادة ماهرة بعيدة عن النزق والطيش والعجلة والتهور ولا بد للشباب من مبدأ وهدف ولا بد لصاحب المبدأ من قلب ثابت وقدم راسخ يقاوم هبات العواصف وما أشدها وما أقساها فى وجه أصحاب المبادىء الذين يحاربون من الداخل ومن الخارج ومن الداخل أكثر من الخارج وأول ما نلفت اليه الشباب ذلك الكنز الموجود فى أعماق النفس فعلينا ان نفتش عنه وأن نعتز به ونصقله ونسعد به فهو القوة الغلابة التى تقود إلى الحق وتمكن من الصبر على الشدائد فى أوقات الأزمات

وعلى الشباب أن يعلم أن الاسلام لا يقبل المساومة ولم يقبلها الرسول صلى الله عليه وسلم فى أول دعوته وهو فى حاجة إلى نصير واحد ولم يقبل إلا الايمان الثابت المتيقن إذ عرض على بنو شيبان عروضا وكانوا يزيدون على الألف فقال الرسول لقد قلتم فاحسنتم ورددتم فأجملتم الرد ولكن دين الله لا ينصره إلا من أحاط به من جميع نواحيه

وشباب العرب فى حاجة إلى توجيه وأعداد إلى أن يصبح هذا الشباب كتائب منتظمة تعرف هدفها وتؤمن به وتذود عنه ولا خير فى حياة لا هدف لها ولا غاية

وعلى الهيئات والجماعات أن توجه هذا الشباب وتقوده وأن تكشف له فى وضوح حقائق المسائل السياسية والاجتماعية والعسكرية حتى لا يظل قلقا لا يعرف أو يبقى ناقا على ناحيه ما لأنه يجهل ما حولها

يجب أن يكشف للشباب فى الأقطار الاسلامية عن حقائق الأمور وعن مسائل السياسة بالذات حتى لا تتكون عنده من الكبت والخفاء عقدة نفسية تدفعه بضغطها المتصل إلى الانفجار

أن روح الشباب العربى الآن لا تحتمل كثيرا أن تنظر للأشياء نظرة الجاسوس الذى يريد أن يصل إلى الحقائق الخفية المستترة فيخطىء الوصول ،

فقد تصل إليه محرفة خاطئة فيحكم على الأمور حكما غير صحيح ، وقد يدفعه حماسه وحدته وإيمانه بحقوق وطنه ورغبته فى التضحية والفداء إلى أن يخطىء الهدف

لذلك وجب أن تكشف حقائق الأمور السياسية للناس كشفا صريحا حتى لا تتكون هذه العقد ، ولا يشعر الشباب أن فى الخفاء شيئا ، وحتى لا يكون هناك هذا الضغط الحاد القابل للانفجار

لابد من سياسة تنفيس مستمرة بالنسبة للشباب ولا بد من تقدير لقواه الثائرة المهتاجة التى لم تركز بعد وإلى المدى الذى وصل اليه بتأثير بعض الجهات فيه قبل الاعداد وقبل التمحيص وقبل وصوله دور التركيز

إن الشباب قد أغرم بالسياسة والمسائل والخارجيه العامة المعلقة بين الأوطان وبين الدخلاء المستعمرين فلابد من تفصيل لهذه الامور حتى تكون واضحه بدلا من أن تطوى وتحاط بالكتمان فتصل عن طريق غير سليم ، على غير وجهها ، فيتأثر بها الشباب الحاد العاطفة الملتهب والشعور المتوقد القلب فيفلت زمامه ويتصرف تصرفا خاطئا والمثل واضح فى حوادث القتل السياسى التى لم يتبين فيها أصحابها وجه الحق ولا وجه الفهم الصحيح

ونصيحتى للشباب أن يكون مركزا حكيما لا يسرع بالحكم على الأمور ولا يأخذ الأمور من الاشاعات المتداولة وأن يقلب الأمر إذا عرض عليه من جميع وجوهه بدقة وأن يستشير وأن يرجع دائما إلى قيادته يتأثر بها ويعمل معها ، على أن يختار هذه القيادة من الهيئات المخلصة التى تعمل صادقة فى سبيل نصرة الوطن والدين وأن يتحاشى بقدر الامكان هؤلاء المغرضين الذين يعملون وأمامهم غرض فردى كمنصب أو جاه أو مال

وعلى الشباب الذى يعرف هدفه ويريد أن يتقدم إلى ميدان العمل أن يكون حريصا من فئة الواقفين بالمرصاد والراغبين إلى تحطيم الجهود ـ وقتل بذور القوة وغراس العزة ولهم فى ذلك أساليب مظهرها والود والاخلاص ومبطنها الحقد الدفين والاصرار على التحطيم

على شباب الاسلام أن يحذر شيئين حذرا بالغا : المرأة والمال فانهما هما علة الاخفاق وبهما استطاع الغاصب والمستعمر أن يغرى الأحرار ويردهم على أعقابهم خاسرين ولطالما قامت حركات قوية ولكنها لم تخلص لله واستطاع الدخيل أن يدس لها السم فى المال أو يغرى أصحابها بالمرأة فضاعت وتهدمت فحذار ثم حذار .

والرحلة والكشف والسياحة من أهم عوامل القوة والنضوج

الرحلة إلى بلاد المسلمين لمعرفة أحوالها والتعرف إلى الاخوان فى كل مكان نستفيد منهم وتفيدهم وتتذاكر حقوقنا وشئون أوطاننا وأمر ديننا وحقيقة مجدنا وعوامل النهضة والوصول إلى الغاية الكبرى

والبذل فى سبيل الحق والتضحية والفداء من أكبر العوامل وأجلها وبدونه لاتقوم النهضات ولا يتم البناء ، فهو علامة العمل الأولى بعد انتهاء موجات الكلام وكذلك قراءة القرآن الكريم بتدبر كامل والسنة والتاريخ الاسلامى والثقافة الكاملة الشاملة ثم الرياضة والقوة والمحافظة على سلامة الجسد (علموا أولادكم السباحة والرماية وأن يثبوا على الخيل وثبا) كذلك كانت وصية عمر لكتائب الشباب مع تجنب الاسراف فى المنبهات والكيوف والامتناع بتاتا عن المسكرات

ثم الشجاعة والاحتمال والصراحة فى الحق وكتمان السر والاعتراف بالخطأ والصدق والوقار ثم الادخار وخدمة الثروة القومية

والعدل وصحة الحكم فى جميع الأحوال على ألا تنسى للغضب الحسنات ولا تغضى للرضا عن السيئات ولا تحملك الخصومة على نسيان الجميل وأن لاتتجسس ولا تغتاب ولا تصخب ولا تتشاحن وأن تتوجه إلى الغاية قدما فلا تتصل بأى هيئة لايكون الاتصال بها من مصلحة الفكرة الاسلامية وكل هذا يتطلب مراقبة تامة للحق تبارك وتعالى وإخلاص النية له والمحافظة على الطهارة والصلوات فى أوقاتها وصيام رمضان وحج البيت وتجديد التوبة والاستغفار ومجاهدة النفس جهادا عنيفا واستصحاب نية الجهاد

فاذا تم تجنيد الشباب للفكرة الاسلامية فى الشرق الاسلامى كله وعملت هذه الكتائب على فهم الاسلام فهما صحيحا وتأثرت به وآمنت بشرعته وأوتيت روح الفداء فى سبيله كتب الله للشرق وللاسلام صحيفة جديدة وأشرق فجر القوة والعزة والحرية فيها بساما نديا

وبعد

فالقضية الاسلامية الكبرى التى تعتبر القاعدة الأولى التى توجه زحف الاسلام إلى قواعده توجيها صادقا تتلخص فيما يأتى : ـ

القرآن هو دستور المسلمين وبه قواعد النهضة والمجتمع السليم قانونيا وقضائيا وعسكريا وسياسيا وحربياواقتصادياواجتماعيا . فعلى المسلمين أن يكافحوا لتسود هذه الأحكام وتنفذ بعد أن طال تعطيلها . وأنهم مسئولون بين يدى الحق تبارك وتعالى عن هذا القانون وعن تعطيله وإن عليهم مهما اختلفت مذاهبهم وألوانهم وأجناسهم وأقطارهم أن يتوحدوا لهذه الغاية وأن يجعلوها الهدف الأول والأخير فذلك جماع الاسلام كله . والفروق المذهبية لاتؤثر مطلقا فى الجوهر والقواعد العامة والخلافات الفرعية بين هذه المذاهب صائرة إلى الزوال بحكم الاشتغال بالأهم والأسمى واللباب . فاذا آمن بذلك المسلمون عن إقتناع وعملوا له فى فدائيه زحف الاسلام زحفته الكبرى وضرب ضربته المسددة فى الصميم فعاد إلى قواعده الأولى أصلح مايكون وأقوى ما يكون باذن الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

الجمعة ٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٥

والله أكبر ولله الحمد

أنور الجندى

سلسلة رسائل تاريخ الفكرة الإسلامية

منهاجها . قواعدها . غايتها . وسائلها

تظهر أول كل شهر

بقلم أنور الجندى

أخى القارىء الكريم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قدمنا لك خلال السبعة شهور الماضية هذه الرسالة المختلفة الموضوعات المتصلة الغاية منها ثلاث رسائل تنتظمها وحدة تامة مستقلة

الاخوان فى ميزان الحق	يوليو	نفد
بعثة الحجاز للاخوان ١٣٦٤	أغسطس	٧٠ مليما
قائد الدعوة	سبتمبر	٨٠ «

وكلها مكملة لبعضها فمن قرأ رسالة منها وجب أن يقرأ باقى المجموعة حتى لا تفوته المعانى المتفرعة من الهدف الأكبر (دعوة الحق)

أما الرسائل الأخرى فهى إلى أن تكمل ستكون أوفى مرجع لتاريخ الاسلام السياسى فى العصر الحديث

قضايا الأقطار الاسلامية	مايو	٥٠ مليما
كفاح الذبيحين ـ فلسطين والمغرب	يونيو	٥٠ «
انهيار الحضارة الغربية	أكتوبر	٥٠ «
الاسلام يزحف	نوفمبر	٥٠ «

وتبقى بعد ذلك الرسائل الآتية التى نرجو أن نوفق بعون الله إصدارها على التوالى فى الشهور المقبلة تكملة لهذه المجموعة

النيل لا يتجزأ	ديسمبر
كيف تتحرر مصر	يناير
دسائس الاستعمار في الشرق	فبراير
المؤامرات الصهيونية وفلسطين	مارس

وبذلك تتم هذه الحلقة بعون الله ثم نقدم لقراء الكتاب السنوي الكبير الذي سيكون قنبلة داوية في محيط السياسة وفي المجتمعات والأندية والصالونات

صفحات سوداء

من تاريخ الأحزاب السياسية في مصر

منذ ثورة ١٩١٩ إلي الآن وآثارها السود في جبين الوطن

فاذا وفقنا الله إلى ذلك وأكملنا هذه المجموعة رجونا الحق تبارك وتعالى أن يمدنا بالعون لمعالجة الجانب الآخر من الفكرة الاسلامية جانب التاريخ الاسلامي والأدب العربي وبعث المعاني الخفاقة والصور اللامعة في هذا التاريخ الحافل في ثوب قشيب والله المستعان

هذا عهدنا لاخواننا وقرآئنا ونحن نأمل في معونتهم بالتشجيع والقراءة ولذلك جعلنا ثمن الرسائل الأربع (قضايا الأقطار ـ كفاح الذبيحين ـ انهيار الحضارة ـ الاسلام يزحف) ١٥٠ مليماً لمن يطلبها مجتمعة خلاف أجرة البريد ونقبل اشتراكات سنوية في هذه المجموعة

٥٠٠ مليم عن سنة كاملة

٢٥٠ « عن نصف سنة

وترسل المخاطبات باسم المؤلف بجريدة الاخوان المسلمين بالحلمية الجديدة بالقاهرة

وسنهدى للمشتركين قريبا (مذكرات معلم)

كتاب العام

صفحات سوداء من تاريخ

الأحزاب السياسية

في مصر من سنة ١٩١٩ إلى الآن

١ — تاريخ الحزبية والمواقف الحزبية المختلفة

٢ — إنشاء الأحزاب وتكوينها وعلاقة ذلك بالوزارات وبالحكم

٣ — الخصومة بين الأحزاب

٤ — النظام الدستورى والأحزاب

٥ — الانتخابات والبرلمان والأحزاب وعيوبها

٦ — برامج الأحزاب ومدى ماأفسدت فى الاخلاق والمجتمع

٧ — أثر الخصومات الحزبية على القضية الوطنية

٨ — دراسة عميقة للحياة السياسية فى مصر منذ الثورة

٩ — وثائق دامغة وحوادث دامية تبين مدى الآثار السوداء التى أصابت مصر

١٠ — الوزارات المصرية بين التشكيل والاستقالة (ثبت كامل من سنة ١٩٢٠ إلى الأمة وأم أعمالها وأسباب استقالتها أو إقالتها)

١١ — الحزبية وتأثيرها على الصحافة والأقلام

١٢ — انشاء الدستور وماأثير حوله وتعطيل الدستور سنة ١٩٢٩ ودستور سنة ١٩٣٠

١٣ — تشقق الأحزاب وتمزيق الشعب وبلبلة أفكاره

١٤ — موقف الفكرة الاسلامية من الحزبية ومن القضية الوطنية ومن النظام الدستورى والنيابى والبرلمانى

كتاب الشهر القادم

النيل لا يتجزأ

١ — قضية النيل ودولته من أيام محمد على وإسماعيل
٢ — قناة السويس وديون إسماعيل
٣ — الثورة العرابية والثورة المهدية
٤ — مصر بين الثورة العرابية وإعلان الحماية
٥ — اليوم المشئوم (١١ يوليو ١٨٨٢)
٦ — مصطفى كامل والحزب الوطنى
٧ — ثورة ١٩١٩ وآثارها
٨ — السودان بين الأخلاء والفتح ومعاهدة ١٨٩٩
٩ — إخراج مصر منه سنة ١٩٢٤
١٠ — آثار الاستعمار فى السودان
١١ — السودان فى المفاوضات المتوالية

قريبا

مذكرات مسلم ويوميات مسلم